

الحاج عمر الفوتى

سلطان الدولة التجانية

بغرب أفريقيا

شىء من جهاده وتاريخ حياته

ولد فى ١٢١٢ — وتوفى ١٢٨٢ هـ

١٧٩٦ — ١٨٦٤ م

لفضيلة العارف بالله السيد محمد الحافظ التجانى

سئل الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه أيكذب عليك
قال نعم : إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فاعملوا
به وما خالف فاتركوه اهـ . أى هو كذب عليه .

وعلى نهجه الإمام المجاهد الفاتح ناشر راية الإسلام أمير
المؤمنين الحاج عمر الفوتى فطالما كذب عليه وقد كان مستمسكا
بالشرع فى حربه وسلمه ، عالما عاملا ذا بصيرة فى دينه . لم يشغله
الجهاد عن تدريس العلم لجيوشه الغازية فى سبيل الله مع الوقوف
عند الحدود والتقرب إلى الله بالنوافل رضى الله عنه .

الزاوية التجانية ٩ الدالى حسين المغربلين — مصر ١٣٨٣ هجرية



سلطان الدولة التجانية

بغرب أفريقيا

شيء من جهاده وتاريخ حياته

ولد ١٢١٢ — وتوفى ١٢٨٢ هـ

١٧٩٦ — ١٨٦٤ م

لفضيلة العارف بالله السيد / محمد الحافظ التجـــانى

سئل الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه أيكذب عليك قال نعم : إذا سمعتم عنى شيئا فزنوه بميزان الشرع فما وافق فاعملوا به وما خالف فاتركوه اهـ. أى هو كذب عليه .

وعلى نهجه الإمام المجاهد الفاتح ناشر راية الإسلام أمير المؤمنين الحاج عمر الفوتى فطالما كذب عليه وقد كان مستمسكا بالشرع فى حربه وسلمه ، عالما عاملا ذا بصيرة فى دينه ، لم يشغله الجهاد عن تدريس العلم لجيوشه الغازية فى سبيل الله مع الوقوف عند الحدود والتقرب إلى الله بالنوافل رضي الله عنه .

الزاوية التجانية ٩ الدالى حسين المغربلين — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان

كان المؤرخون المسلمون منصفين ، فقد كتبوا عن خصومهم فأشادوا بما فيهم من فضل . وعمل المستعمرون من الأوروبيين على إخفاء كل فضيلة فى الأمم الإسلامية وعلى إلصاق التهم الكاذبة بهم ، والدس والوقيعة بينهم .

فإذا أراد الباحث استقصاء مآثر الدول الإسلامية التى قامت فى أفريقية الغربية وجاهدت الوثنيين ، ونشرت راية الإسلام ، لا يجد من المراجع ما يكفى ، لأن المستعمرين أبادوا ما كتبه الأولون ، وعملوا على تعليم النشء أمجاد أوروبا ونسبوا إلى أنفسهم كل فضيلة فصار غالب المسلمين الذين ابتلوا بهم يعلمون الكثير عن أوروبا وتاريخها ، ويجهل تاريخ العرب والمسلمين اللهم إلا الشيء القليل ، ولهذا كتبت إلى أصدقائنا فى السنغال وشنقيط ونيجيريا من العلماء أن يتفضلوا بكتابة مايعلمون من تاريخ حياة المجاهد زينة العلماء الحاج عمر بن سعيد الفوتى فكتب إلى حفيده مولانا الشيخ سعيد نوروطال ، وقد جمع إلى الزعامة فى قومه الدعوة النورانية إلى الله عز وجل فأرسل إلى مع الشيخ محمد المنتقى من ذرية سيدنا الحاج عمر رسالة وصلتنى بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكتب إلى العلامة المتبحر فى كل فن الشيخ محمد عال بن فتى الشنقيطى ، وأرسل إلى الشيخ أبو بكر عتيق من علماء مدينة كانو بنيجيريا عدة رسائل توافق ماوجدناه عند الشريف عبد الله عمدة البرداب بجمهورية السودان ، وأرسل إلى الشيخ بشير أحمد عالم مايرنو بجمهورية السودان بحثا جمعه من مطالعته ومن رواياته .

وضممت إلى ذلك ما كتبه علامة عصره الإمام سيدى الحاج أحمد سكيرج فى كتابه كشف الحجاب ، وما كتبه العلامة المؤرخ أمير البيان شكيب أرسلان فى حاضر العالم الإسلامى ملخصا لما نقله بعض الإفرنج وعلق عليه وكذلك بعض ما كتبه الإفرنج وبعض المؤرخين العرب . وحسب قوم التصوف انزواء فى خلوة والحقيقة أن الطريق هو الاضطلاع بجميع الواجبات والعمل لإعلاء كلمة الله قال تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .

الزاوية التجانية الكبرى بالقاهرة — محمد الحافظ التجانى

وفى المجلد الخامس من دائرة المعارف الإسلامية صحيفة ٤٣٢ ، طبع مصر ، بعد أن ذكر فيها قيام دولة من التكارير على يد السلطان عثمان بن فودى فى نيجيريا ذكر ما يأتى : —

وكان عمر دولة تكرور الأخرى التى أنشأها الحاج عمر فى القرن التاسع عشر أقصر من هذه . وولد عمر تال فى حلوار من أعمال تورو حوالى عام ١٧٩٧ م ، وحج إلى مكة عام ١٨٢٠ م فلقب بالحاج ، وأقامه أتباع الطريقة التجانية خليفة على السودان ، وأقام فى عودته من الحج بسكوتو مدة من الزمن مع مواطنه محمدو بللو وزوجه هذا من ابنته . وفى عام ١٨٣٨ م ، أقام فى فوته جالون ، فلما استشعر من أهلها العداوة استقر عند دنكراى جنوبى بلاد مندنجو . وشيد فيها حصنا وجند جيشا جمع أهم كتائبه من فوته السنغالية ثم دعا بعد ذلك إلى جهاد الكفار وفتح مندنجو وبمبك ثم سار إلى ببرة وكآرته ودمر ملكهما ودخل نيورو دخول الظافر عام ١٨٥٤ م . ثم دهم خاسو التى كانت قد رضيت بالحماية الفرنسية ، وأنشأ أميرها فيدهيربه قاعدة حربية فرنسية فى « المدينة » عاصمة هذه البلاد . وحاصر الحاج عمر هذه المدينة والحامية الفرنسية المقيمة فيها واستطاع بول هوله أمير حصن المدينة والحامية الفرنسية أن يثبت للحصار فى عدد من رجاله ثلاثة أشهر . ولما نفذت مؤنته وذخيرته هم بنسف الحصن بمن فيه . وكان فيدهيربه ينتظر فى أثناء ذلك هطول أمطار السنغال ، فظهر هو وجنده أمام المدينة ونكل بجيوش الحاج عمر(١) بعد ذلك اتجه الحاج عمر إلى بنديو حيث قاتل المامى بوبكر سعده ، ثم سار إلى فوته السنغالية حيث أجبر فريقا من سكانها على الالتحاق بجيشه والسير معه إلى نيورو . وتمكن الحاج عمر بذلك من إعادة تنظيم جيشه وسار إلى مدينة ببره من أعمال سيجو واستولى عليها عام ١٨٦١م . ثم وجه اهتمامه إلى الفلة فى ماسينا الذين لم يمنعهم إسلامهم من معاونة أهل ببره الكفار .

فاستولى على عاصمتهم حمد الله وأسر ملكهم أحمدو أحمدو وأطاح برأسه عام ١٨٦٢ م . وتقدم بعد ذلك إلى تمبكتو لنهبها ولكن الفلة الثائرين حاصروا هذه المدينة واضطر الحاج عمر الى الاعتصام بمغارة ، ولكنهم أطلقوا عليه الدخان حتى اختنق فيها عام ١٨٦٤ م .

---

(١) امتلأ النهر فسارت فيه السفن الحربية ولاعهدلهم بمدافعها وكانوا يسمونهاجمابا .

« التجانيــة »

وفي المجلد الثاني ص٣٩٦ من كتاب حاضر العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان عن كتاب الإسلام والنصرانية في أفريقيا للسيو (بونوموري) الفرنسي .

وهناك الطريقة التجانية مؤسسها أحمد بن محمــــد التجاني المتوفى في فاس سنة (١٨١٨) وكان يتظاهر بالتسامح مع غير المسلمين ومع هذا ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم تقف التجانية عن استعمال القوة في مخاصمة أقرانهم ونشر العقيدة الإسلامية وأهم مراكز التجانية (عين ماضي) على بعد سبعين كيلو متراً في الجنوب الشرقي من اللاغوات وفي تماسين وهم كثيرون في مراكش واقد تبع الطريقة التجانية عدد كبير من أهالي ماسينه في السودان وأهالي (فوتا تورو) (وفوتا جالون) (وأمة البله) وصاروا من أشد أنصار الإسلام وانضموا حول راية الحاج عمر فكانوا طيلة أربعين سنة هم سادة السودان من تمبكتو إلى الأقيانوس الإطلانتكي .

وكان الحاج عمر هذا ابن شيخ مرابط ولد سنة (١٧٩٧) في قرية الفار من ديمار(١) فرباه أبوه وعلمه ثم حج البيت الحرام وزار المدينة وقرأ مدة في الأزهر وعاد إلى بورنو سنة (١٨٣٣) .

ثم ذهب الى بلاد الماوسة وأخذ يعظ الناس بالرجوع الى عقيدة السلف ويطعن في تساهل القادرية وفي أثناء ذلك جاء أخوه أحمد ومضى به الى بلاد فوتا من السنغال فعرج على بلاد البانبارة وحصلت معه هناك حوادث وعوارض كثيرة لكنه تغلب عليها وانضم إليه في بلد كنكان(٢) ، رجل يقال له محمد وسار على طريقته وأدخل في الإسلام فرقة البله يقال لهم الواسولونكه .

ولما علت كلمة الحاج عمر ونظر إليه الناس نظرهم إلى المهدي حشد جيشاً صغيراً وأثار جميع مسلمي بلاد غابون وهزم البانبارة الوثنيين شر هزيمة في مونيا واستولى بعدها على كوليا كاري ـ وسنة (١٨٥٤) جعل مقره العام في نيورو ، ثم استولى على مملكة سيغو وعلى بلاد ماسينا وكانت وفاة الحاج عمر سنة (١٨٦٥) وهو في حرب مع زنوج ماسينا وقد خلف للطريقة التجانية سلطنة إسلامية عظيمة

---

(١) ناحية من قطر السنغال على الضفة اليسرى من النهر بين والو من الغرب وورنو من الشرق .　　(٢) مدينة في غينيا ا هـ الفار هي حلوار .

فى وسط بلاد الزنوج الفتيشيين ثم خلف الحاج عمر ابن أخيه ومريد آخر له اسمه أحمد وشيخو بن عمر وحاولا توسيع فتوحات الحاج عمر وأثارا أهالى فوتاتورو والسوتينكة الذين فى بلاد كاآراته والتوكولور الذين فى السنغال على فرنسا(١) .

فصار وجود هذه السلطنة التجانية فى وسط السودان خطراً عظيما على سيادتنا وكان تحرير الخلاف هو هذا :

هل يتم تمدين السودان الغربى على يد فرنسا وضباطها المسيحيين أم على يد التجانية رسل الإسلام ؟

فالكولونل أرشينارد بأخذه جنة وبندجاقار أوقف غارة التجانية فى هذا القسم من أفريقيا ويسر فتح السودان بين يدى المدنية الأوربية ثم عقب ذلك فتح الكولونل دور غنيس ديبورد لبلد باماكو واستلحاق القومندان غالينى لبلاد فوتاجالون وافتتاح الكولونل أرشينارد لبلاد ماسينا وتتوجت جميع هذه الفتوحات باحتلال تمبكتو فى ١٠ يناير سنة ١٨٩٤ مما خلد أعظم الشرف للعساكر الفرنسيين وأعاد ذكرى ظفر شارل مارتل فى بواتيه بسبب ما كان يترتب من النتائج العظام لمستقبل أفريقيا لو لم يتم هذا الظفر(٢) .

وقال فى الصحيفة الأولى من المجلد الثالث قال المسيو مورى : فلننظر الآن إلى مجارى الدعاية الإسلامية فى قارة أفريقيا إلى أن قال والمجرى الثانى هو الذى يخرج من المدارس القادرية فى تمبكتو ومن بعض زوايا التجانية إلى أن قال والحق يقال إن الإسلام فى هذه الصفحة الأخيرة من تاريخه قد دل على أنه يملك حيوية عظيمة وقابليه شديدة للانتشار فليتذكر الناس حركات أمة البله ونشاط الدراويش أتباع الطرق وتكاثر الزوايا وثورة الحاج عمر الفوتى وخلفائه .

وقال الأمير شكيب فى صفحة (٤٥) من المجلد الثالث وذكر المسيو أندرى راسين صاحب كتاب (غينية الإفرنسية) قال فى أثنائه وأكثر هذا النمو الإسلامى

---

(١) لا يخفى أن كل قوم يحافظون على استقلالهم ثائرون عصاة فى نظر المستعمرين

(٢) يشير إلى أن أفريقيا كانت تكون كلها إسلامية لولا قضاء فرنسا على سلطنة التجانية هذه كما أن أوربا كانت تكون إسلامية لولا انتصار شارل مارتل على العرب فى بواتيه وهى الكلمة التى يتفق عليها مؤرخو الإفرنج .

كان سببه أمة فولة والحاج عمر إلى أن قال ثم انضم إلى ذلك تأثير الطرق الصوفية لأن هذه الطرق هى من أحسن الأجهزة للنضال . وأحدثها عهداً وأشدها عزما هى السنوسية والتجانية وهـــذه الثانية هى فى السودان الغربى والسواحل أعظم انتشاراً . وقال فى صحيفة (٤٨) من المجلد الثالث :

وقد أسس أشياخ الطريقة التجانية مدارس فى كنكان ومكاتب ونشأ مرابطون كثيرون كانت لهم اليد الطولى فى نشر الإسلام فى أفريقيا الغربية والجنوبية إلى أن قال فى صحيفة (٤٩) والإسلام يمتد أيضا فى الجهات الجنوبية الغربية من غينية . والسبب فى امتداده إلى هناك هى فتوحات القبائل الشمالية مثل السونينكا والتورودو والديولا والدياكانكه . ومن هذه الأقوام جند الحاج عمر أحسن عساكره . وقد خلف مريدين قاوموا الفرنسيس أشد المقاومة مثل المرابط محمد يلامينا درامى .

وفى كتاب (الدولة الإسلامية . ماضيها وحاضرها) للأساتذة عبد الحميد العبادى أستاذ التاريخ بجامعة الإسكندرية سابقا والأستاذ محمد مصطفى زيادة رئيس قسم التاريخ بجامعة القاهرة والأستاذ إبراهيم أحمد العدوى أستاذ التاريخ المساعد بجامعة القاهرة . (طبع مصر سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٥٥ م) ص ١٨٢ تحت عنوان ـــ الطرق الصوفية وأثرها فى انتشار الإسلام فى السودان .

(التجـــانية)

ظهرت هذه الطريقة الصوفية إلى جانب القادرية فى مراكش وتنتسب إلى مؤسسها أحمد بن محمد بن المختار التجانى ولد سنة ١٧٣٧ م واستقر التجانى فى فاس وعاش بها حتى وفاته سنة ١٨١٥ م ورأى أتباع هذه الطائفة أن الجهاد واجب لنشر الإسلام ، وأن تسامح القادرية (أى فى جهاد الوثنيين) لم يثمر فى بعض الجهات الصحراوية والسودانية التى دعوا فيها إلى الإسلام . ورسم الحاج عمر رئيس التجانية فى السودان الغربى الخطوط الرئيسية لاتباعه ، فعمل أولا على تعليمهم بعض فنون الحرب وأمدهم بالأسلحة ، ثم بدأ سنة ١٨٣٣ م سلسلة من الحملات لنشر الإسلام بين القبائل التى ظلت على الوثنية حول النيجر الأعلى والسنغال . ولم يلبث أن صار قوة سياسية دينية ذات سلطان كبير .

كتاب الإسلام فى غرب إفريقية

القس ترمنجهام

صحيفة ٢٦ — الحاج عمر بن سعيد .

عندما دخل الفرنسيون منطقة السنغال (السيرا والجولاف السنغال والبمبارا والدجون فى السودان) طلبوا الولاء من السكان بالقوة وتنكر البيض لهذا الولاء وحدثت غارات ، ودفع ذلك جماعات منها ديالو (من السيروا) حيث تقدم زعيمها مودى باه بالولاء الى الحاج عمر فى عام ١٨٥٥ ميلادية وبقى مسلما .

صحيفة ٤٨ — وطلب الحاج عمر من الذين تغلب عليهم بالتوبة ودخول الإسلام وتجد فى جميع لهجات الماندى لفظ التوبة واستعمل هذا اللفظ لقبول الإسلام والتوبة .

صحيفة ٨٣ — ومن بين مؤلفات الحاج عمر شرح لكتاب رماح حزب الرحيم الذى كتب فى عام ١٢٦١ هـ — ١٨٤٥ ميلادية وكتاب سيوف السعيد وسفينة السعادة وكتاب الفزازى القصايد العشرينيات (تخميس لها) .

صحيفة ٨٩ — ونشرت مؤلفات عن جهاد الزعماء مثل عثمان بن فودى وبخاصة الحاج عمر(١) وبعض المشايخ فى المدة الأخيرة ومنهم شيخو فنتا قاضى كبا ١٨٧٨ — ١٩٥٥ .

صحيفة ٩٨ — ٩٩ :

وعمل الحاج عمر على فتح الأقاليم بالسودان الغربى وحاز على انتصارات كبيرة وجعل الطريقة التجانية الطريقة الرسمية فى الأقاليم التى سيطر عليها وبعد انتهاء امبراطوريته ارتد بعض السكان الى طرقهم السابقة وبقى عدد كبير على الطريقة التجانية تحت قيادة بعض المشايخ ودخلت الطريقة التجانية الى نيجيريا فى عهد محمد بللو حيث كانت هناك مجموعة من حوالى العشرة آلاف من التكارير ومن بقايا رجال السيد أحمد بن الحاج عمر .

---

(١) كتب أحمد العدنانى قصة كرامات الحاج عمر بعنوان عقد الجمان والدرر لبعض من كرامات الشيخ عمر وهو محفوظ بالمكتبة الأهلية الفرنسية بباريس تحت رقم ٥٥٥٩ و ٥٧٣٤ . من الأصل.

وفى كتاب (صفوة الاعتبار فى مستودع الأمصار والأخبار)
الشيخ محمد بيرم الخامس التونسى من علماء تونس ومصر وأحد قضاتها

مملكة فلانا ومركز قوتهم بلد هوسا التى بها شبان أقوياء من السودان ، ويسمون باسم بلدهم . وهم خاضعون إلى فلانا وهؤلاء جلهم مسلمون حسنوا السيرة على ما هم عليه وتختهم بلد ساكاتو ولهم سلطان مستقل مسلم ومسكنه ورنو ، وأعظم بلاد التجارة عندهم بلد كانو وأهلها مسلمون ولهم بعض صنائع جيدة كالدبغ والصبغ والنسج ، ولهاته القبيلة السيادة على جميع القبائل المجاورة لها ، إلا نحو ثلاثة قبائل جوار الصحراء وهى كوبر ومريادى وكاغو . ولذلك كانت فلانا مملكة ومرقعها غربى الممالك السابقة على نهر نيجر الذى هو أعظم أنهر قسم السودان ولهم عليه قوة عظيمة .

(القبائل المتحدة) المسماة بركو المتألفة من تنبكتو وكورما ولتباكو وقد كان الجميع تحت سلطنة واحدة جمعهم عليها أحد علماء فوتا المسمى عمر الفوتى وهو من العلماء الأجلاء من كبار تلاميذ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه وتوصل باجتماع التلامذة عليه إلى أن صار ملكا ، وجميع هاتيك القبائل والتى يأتى ذكرها تحت سلطنته ، ولكن فى آخر الأمر وقعت حروب معه إلى أن قتل بلغم يقال(١) إنه أثاره على نفسه لما أيس من الحرب ، وكان ذلك فى حدود سنة ١٢٨٣ وله عدة تآليف .

وجميع هاته القبائل مسلمون وفيهم الصالحون ولهم تجارة مع المغرب لكنهم الآن حكمهم كأنه حكم جمهورى تحت عدة رؤساء متعاضدين على رفع مهاجمات الفلانا من الجنوب والتوارك من الشمال ثم يلى هاته المملكة من غربيها قبائل « بنبرة » وقاعدتهم سان ساندنك وهاته القبيلة مستقلة تحت رياسة حاكم منهم وبقربها مكان كان يسكن به قبيلة يربا — الجزء الأول ص ٧٢ .

---

(١) هذه الرواية لا تصح ولذلك ساقها المؤلف بلفظ يقال وهى صيغة التمريض ، وتؤذن بضعف الرواية ـ والتحقيق أنه دخل غاراً ولكنهم أطلقوا عليه الدخان حتى اختنق ـ أنظر دائرة المعارف الإسلامية ص ٤٣٣ المجلد الثانى .
وخرج بعض أبنائه لما ضايقه الدخان وقاتلوا حتى قتلوا ، واستشهد الجميع .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه

ولد سيدى الحاج عمر بن سعيد الفوتى سنة ١٢١٢ هجرية بحلوار بجوار بدور فى إقليم فوتا تورو بقطر السنغال . وتربى وترعرع بين أبوين كريمين وحفظ القرآن عن والده الشيخ سعيد بن عثمان وله من العمر اثنتا عشرة سنة ثم اجتهد فى تحصيل العلوم الشرعية حتى أشير إليه بالبنان فى المعقول والمنقول ، وتبحر فيها قبل الثلاثين من عمره ، ثم تاقت نفسه للانتظام فى سلك أرباب الكمال ، وصرف همته فى تهذيب النفس لمخالف المألوفات وعزف عن ملذات العادات . ومن الله عليه بالاجتماع بصاحب الفتوة والأنفاس الزكية ، الشيخ عبد الكريم بن أحمد الناقل من علماء فوتا جالو . وقد أخذ عن سيدى مولود فال الشنقيطى عن سيدى محمد الحافظ العلوى الشنقيطى . وعن سيدى محمد الغالى وكلاهما عن الشيخ الأكبر رضى الله عنه .

وأخذ الشيخ عبد الكريم أيضا عن الشيخ عبد الحليم عن سيدى محمد الغالى عن الشيخ رضى الله عنه .

فأخذ عن الشيخ عبد الكريم الأوراد اللازمة للطريقة والحزب السيفى مجردا عن حزب المغنى ولازمه سنة كاملة وعدة أشهر . وكان ذلك فى سنة ١٢٤١ هجرية .

ثم تاقت نفسه إلى الحج وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم فسافر مع شيخه الشيخ عبد الكريم إلى جهة المغرب لطلب الزاد . وعرض لشيخه مرض فرجع إلى الوطن فانتظر الشيخ عمر ما قدر الله له ثم سافر إلى ماسنا ، فخرج على أثره ليلحق به فما قدر الله بينهما لقاء ، ولكن بلغه إنسان فى أرض ماسنا عن الشيخ عبد الكريم قال له : قل للشيخ عمر بن سعيد إنى أسلم عليه ، وقل له منذ فارقتك ما قدر لى يوم إلا ومحبته تزداد فى قلبى .

ثم لما وصل إلى أرض التوارق .اهير سمع أن سيدى محمد الغالى فى مكة المشرفة مجاورا قال : ففرحت بذلك فرحا عظيما وسألت الله تعالى أن يرزقنى ملاقاته فاستجاب الله دعائى بمحض فضله وجمعنى معه فى مكة المشرفة بعد العصر فى مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام وتذاكرنا قليلا وفرح بى فرحا عظيما ، وأكرمنى

لما تفرس بى من الصدق ودفع إلى جواهر المعانى الذى عندى اليوم بقصد أن أنظر فيه ، ومكثت معه حتى فرغنا من أعمال الحج(١) وبعد تمام المناسك ارتحلت معه إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ودخلناها أول يوم من المحرم وجاورت معه تلك السنة فى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام وسلمت له نفسى ومالى وألقيت إليه القياد وبقيت أخدمه قدر ثلاث سنين وجددت الأخذ عنه ولقننى الأذكار اللازمة ونظمنى فى سلك أهل الطريقة ولم يزل يلقننى الأذكار ويعطينى الأسرار واكتسبت منه الأنوار على وفق الشريعة والحقيقة وفى الشهر التاسع فى السنة الأولى وهو شهر الله رمضان قلت له ونحن فى المدينة فى المسجد النبوى بعد المغرب فى الروضة المشرفة بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحرابه الشريفين : اشهد لى أنى رأيتك وقل لى شهدت لك أنك رأيتنى ـ ثم ذكر لى أنه قال لسيدنا وشيخنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم الغوث الصمدانى العارف الربانى الشريف الحسنى سيدى أحمد التجانى سقانا الله من بحره بأعظم الأوانى اشهد لى أنى رأيتك وقال له شيخنا شهدت لك أنك رأيتنى اهـ .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تمس النار مسلما رآنى أو رأى من رآنى . رواه الترمذى

والفضل الإلهى يتسع لأن يعم هذا كل من رآه صلى الله عليه وسلم ولو فى النوم لقوله صلى الله عليه وسلم « من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى » وهذه من باب البشارات ولا يتكل عليها فالبشارات تسر ولا تغر والرجاء يحفز الإنسان للعمل . والصحبة الصالحة مع المحبة الصادقة سبب فى الإصلاح .

وما زال سيدى محمد الغالى يتعهده بالتربية إلى أن بلغ مبلغ الفطام فمن الله عليه بأن جعله خليفة من خلفاء الشيخ رضى الله عنه وأمره بدعوة الخلق إلى الله وأوصاه بعدم مخالطة السلاطين .

قال فى الرماح عن سيدى محمد الغالى رضى الله تعالى عنه قال لى ونحن فى المسجد النبوى وقت الضحى : كنا نقدم الناس ونجعلهم مقدمين فى إعطاء الورد وأما أنت خليفة من خلفاء الشيخ لا من المقدمين وبين فى الرماح الفرق بين الخلافة والتقديم

(١) كان ذلك فى سنة ١٢٤٤ كما هو فى المذكرات .

فى الفصل التاسع والعشرين من الرماح فقال: اعلم وفقنى الله وإياك إلى ما يحبه ويرضاه أن الخلافة عبارة عن نيابة الشيخ الذى كان الخليفة خليفة عنه لأنه يوصل إلى تلاميذه ما كان الشيخ يوصله إليه من الأذكار والأوراد والأحزاب والأسرار والتوجهات والمقاصد والخلوات والآداب والعلوم والمعارف والحاصل أنه يفعل لهم وبهم ما كان الشيخ يفعله وله عليهم من الحقوق جميع ما كان للشيخ عليهم بحكم الخلافة والنيابة وقال إن المقدم من أمره الشيخ أو من أذن له بالإذن وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بتلقين الأذكار اللازمة مع بعض الأذكار التى يختص بها الخواص ممن له حد ينتهى إليه ولكل مقدم صادق مرتبة عظيمة تجب بها طاعته واحترامه كما سيأتى فى الباب السابع والأربعين من هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى وليس الخليفة كذلك بل هو نائب عن الشيخ مطلقا وبذلك كان مقدموه وتلاميذه من جملة رعية الخليفة تجب عليهم طاعة الخليفة يستوى من لقنه الخليفة ومن لقنه غيره لمرتبة الخلافة .

وقد سافر إلى مصر بعد الحجاز وكان فى الحجاز مع سيدى البشير دفين الجبانة شرقية بمصر وذكر له أنه سيصير سلطانا :

وقال فى الرماح : كنا فى سفينة فى البحر المالح بين جدة ومصر وهاجت الرياح فأشرفت السفينة على الغرق وأيقن كل من فيها بالهلاك فأخذ أمى الحاجة فاطمة المدنية النعاس فانتبهت وقالت أبشر فإنى رأيت الآن الشيخ التجانى والشيخ محمد الغالى فقالا لى بشرى الشيخ عمر وقولى له إنا ما أتينا هذه السفينة إلا لنعلمه بأننا معه فلا يخف من شىء لا يصيبه بأس . فانقطع الريح مكانه وسكن .

وصحب كثيرا من علماء مصر وعلماء الشام ومن كراماته أن وجد ابن أمير من أمراء الشام مقيدا فى بيت لأن أهله يعتقدون أنه مجنون فطلبوا أن يدعو له الشيخ عمر فنظر إليه الشيخ وسأله هل تعرفنى قال أعرفك . قال له من أنا ، قال أنت عمر الفوتى فقال لأهله حلوه من القيد فحلوه وصحبه معه معافى لا بأس عليه وارتفعت مرتبته فى أهل المشرق ثم رجع إلى الحرمين وارتحل منها إلى السودان الغربى قال فى الرماح إننا لما رجعنا من الحرمين حتى بلغنا أرض بُرنو وقع بينى وبين سلطانها اختلاف شديد وسعى فى قتلى غدرا وأرسل بعض غلمانه ليلا إلى بيتى ليفتكوا بى وساروا حتى وصلوا البيت الذى كنت فيه أنا وعيالى فكان

فيه سور فلما وصلوا إليه أعمى الله تعالى أبصارهم فإذا رفعوا أبصارهم نحو السماء رأوا السور وإذا نظروا إلى الأرض لم يروا شيئا من بناء السور يفعلون ذلك أربع ليال فلما أعياهم الأمر قالوا لا طاقة لنا على فعل ما أمرتنا به ليلا فقال لهم افعلوا نهاراً فأتونى وأنا بين جماعتى ووجدوا رجالا من رجال الغيب محدقين بنا مسلطين سيوفهم فلما رأوا ذلك رجعوا إليه وأخبروه بما رأوا أيضا مرارا فلما كان هذا أتى واحد من أصهاره فراشه ليلا لينام فإذا بالشيخ رضى الله عنه وعنا به قد ظهر له يقظة لا مناما وقال لهم ما لكم والشيخ عمر لا تتركون عبد الله فى أرض الله وكررها ثلاث مرات ، ثم قال له قل له : لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم قل لهم اصبروا فستأتيكم مكاتيبنا من كل جانب فغاب عنه الشيخ رضى الله تعالى ثم تهيأ للسفر وأكرمنى ذلك السلطان كرامة عظيمة على رغم أنفه وقحطوا أربع سنين لم تنزل عليهم قطرة من السماء حتى أكلوا الجيف وأوراق الأشجار والحمير والخيل وبنى ءام ثم تابوا ومطروا .

ونظم فى الاختلاف الواقع بين أهلها قصيدة قطع فيها الآيتين الكريمتين (إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم) وآية (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) الخ . قال فى الرماح .

(ومنها) أننا لما وصلنا إلى أرض بَيْشَكْ وسعى بعض من لاخير فيه فى الإفساد بينى وبين سلطانها وخاف جميع من معنا من الإخوان وتيقن من كان سا كنا فيها عدم نجاتنا ، رأى بعض الإخوان شخصا جميل الصورة يقول له : أرسلنى الشيخ إلى تلميذه عمر وقال لى قل له : أنا معه فلا يخف من كل بأس فإن طريقته طريق سلامة بيضاء ولا يضنيه شىء . معه أى بالدعاء

ولما وصل الشيخ عمر إلى بلاد حوس بقطر نيجيريا نزل ضيفا على أمير المؤمنين الشيخ محمد بلّو بن الشيخ عثمان فودى وطلب من الشيخ عمر الإذن فى حزب البحر وكتاب الجواهر الخمس ، ولم يكن عنده ذلك الكتاب ولا الإذن له فى إعطاء حزب البحر لغيره من شيخه سيدى محمد الغالى وإنما أذن له فيه لنفسه خاصة ، فأرسل إلى شقيقه الفاهم أحمد يطلب الإذن فيه من أهله مع الكتاب المذكور ، وأن يأتى إليه به لأن أمير المؤمنين محمد بل أمسكه عنده لمحبته وانتفاعه بصحبته فتوجه ألفا أحمد إلى الشيخ محمد الحافظ العلوى الشنقيطى وطلب منه الإذن

فقال : إن الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله تعالى عنه أمرنى بتقديم عشرة فقدمت تسعة وأنت العاشر . فذهب إلى شقيقه الشيخ عمر رضى الله عنه فى بلد حوس وقضى مراده وهو الذى أذن الشيخ محمد بل فى حزب البحر وجاءه بكتاب الجواهر الخمس .

والشيخ أحمد بن سعيد أسن من الشيخ عمر وكراماته مذكورة فى مناقبه ذكر بعضها صاحب روض شمائل أهل الحقيقة بالتعريف بأكابر أهل الطريقة التجانية لسيدى أحمد بن محمد بن العباس الشنقيطى وهو والد أحمد التجانى أحد قواد الشيخ عمر المجاهدين ، ومن أكابر خلفائه وهو الذى انتصر على البكاى ووالد مولانا الشيخ ألفا هاشم علامة الحرمين المتوفى بالمدينة المنورة يوم الاثنين ١٢ القعدة سنة ١٣٤٩ هجرية .

وهذا يرينا أمانة هؤلاء الرجال البررة الأطهار ونزاهتهم ووقوفهم عند الحق وقد ذكر سيدى العربى بن السائح رضى الله عنه فى البغية أن سيدى الحاج عمر كان عمله على الإطلاق وأبى سيدى الحاج عمر أن يتعدى ما فى إجازة سيدى محمد الغالى له أدبا مع شيخه رضى الله عنه وإلا فهو خليفة مطلق . وقد ذكر رضى الله عنه أنه أذن بعد سيدى محمد الغالى بالإطلاق .

وزوج أمير المؤمنين السلطان محمد بل ابنته الشيخ الحاج عمر الفوتى فولدت منه محمد النور والد الحاج سعيد النور شيخ الطريقة بقطر السنغال وموطنه دكار على شاطىء المحيط .

ومكث الشيخ عمر بن سعيد بتلك البلاد نحو سبع سنوات ومن البلاد التى زارها فزان وقال الأمير شكيب أرسلان فى كتاب حاضر العالم الإسلامى فى حاشية صحيفة ٣٩٤ بخصوص الحاج عمر الفوتى : قال لى سيدى أحمد الشريف إنه كانت له صلة بالسنوسية وإنه زار جغبوب .

وقال فى الرماح ومنها رؤيا الإمام العادل والعالم العامل الولى الفاضل أمير المؤمنين محمد بل رحمه الله تعالى التى كتبها وأرانيها ونصها .

الحمد لله تعالى وصلى الله على من لا نبى بعده - أما بعد - فإنى رأيت فيما يرى النائم ليلة السبت رابع عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين ومائتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، أن القطب

المكتوم والبرزخ المختوم وختم الأولياء الشيخ التجانى رضى الله تعالى عنه وعنا به قدم بلادنا وهرع الناس إليه ولما وصلت إليه وجدت عنده الفاتح السيد الرابح عمر بن سعيد قائدا وهو يقول له إن أهل هذا القطر لا يستفيدون علما إلى علمهم « قلت » والقائد نائب السلطان سمى بذلك لأنه يقودهم إلى الأمور التى يراد منهم فعلها ويقودهم عن الأمور التى يطلب منهم تركها وهذا هو الخليفة .

ثم قال محمد بل للشيخ بعد ما سلمت عليه اعلم أنى من أحبابك وإنما أحببتك لله تعالى لا لسبب ولا لعلة بل وضعا إلهيا والحمد لله . وكنت ذكرت ختم الأولياء من كلام الخواص فقال قد عرفته ، قلت ورأيت ذكره فى لواقح الأنوار فقال قد عرفته ، ثم قلت قد سمعت من شيخنا أنه التقى معك فى جانب داره بدغل وأشرت إلى الشمال فسكت مليا ثم قال حتى صكت أنا أمرت بكتبها بالصاد ثم قلت إنى أريد منك كما شهدتك هنا أن أشهدك فى الجنة فذكرت هذه الكلمة ثلاث مرات بجمع همة فدعا لى بذلك ثلاث مرات وفى آخرها سمعته يقول طه . طس ولعله قال يس ثم قال ص . ولعله قال حم ثم قال ق ثم مضيت إلى محلى بقصد الرجوع إليه فبعث إلىّ أن أبعث له دقيق حب الفجل للدواء ، وذهبت إلى طلب حاجته فانتبهت ولله الحمد فى الأولى والآخرة والسلام ، « قلت » ثم إنه رحمة الله علينا وعليه ملأ إناء كبيرا بحب الفجل وأتى به إلىّ وقال لى خذ ما أمرنى شيخك بإتيانه له لأنك خليفته ونائبه وهذا يدل على معرفة أمير المؤمنين الشيخ محمـــد بل بمقام الشيخ سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه وقد بلغنا أنه أخذ الطريقة التجانية كتب إلينا بذلك العلامة الشيخ محمد عال بن فتى الشنقيطى المدرس بمدردرا بشنقيط (موريتانيا) .

ثم صحب الشيخ أحمد بن سعيد أخاه الحاج عمر راجعين إلى فوتا ومرا ببلاد ماسنا وبنبره ومكثا بأرض كعب ثلاثة أشهر وقدم إليه ألفا محمود من أرض كنكن وأخذ عنه الطريق وأذنه بجواهر المعانى ، وصحبه إلى بلدة كنكن فنزل فيها يعظ الناس ويدعوهم إلى التمسك بالكتاب والسنة ويدعو إلى الإسلام مدة عامين ثم ارتحل مع أخيه بطريق بَلى إلى أرض فوتا جَلو ، فوصلا موضعا يسمى كندى ، ثم انتقل إلى موضع يقال له جكنكو وتوافد إليه أحبابه وأصدقاؤه وطالبوا التربية على يديه ، وممن بايعه على الطريق والجهاد فى سبيل الله ألفا عباس من رؤساء فوتا جلو ومحمد حج ومكث هنالك أربعة أعوام يجيئه الناس فرادى .

وجماعات وهو يقرىء الطلبة ما يحتاجون إليه من العلم ، ثم ترك أهله فى فوتا جلو وسافر قاصدا إلى فوتا طورو وفى كل بلد يصل إليها يعظ الناس ويبايعه كثير من أهل الخير وبايعه فى قرية طوبى الشيخ مود محمد البقاوى على الطريق والجهاد فى سبيل الله وهو عالم تقى يحضر مجلس علمه كثير من العلماء والطلبة وله نفوذ واسع ، ثم ارتحل إلى جلو وما زال سائرا حتى وصل إلى حلوار قرية أبيه بفوتا طورو ، فأرسل كتبا إلى جماعات أهل فوتا وذكرهم بما وعد الله المجاهدين من النصر والأجر وأعظم من ذلك رضوان الله الأكبر ، وكان أول من بايعه من رؤساء فوتا ألفا عمر شرنو بيل قدم إليه من بلده ، وأخذ الشيخ عمر يجول فى القرى يدعو الناس إلى التمسك بالشريعة وجهاد الكفار المعتدين على المسلمين ، وبايعه من رؤساء بوسى ألفا عمر شرنو مُـل سافر للقائه فى قرية جور فوند وألفا عباس وشرن أحمد فى آل جلىّ وهو من رؤساء آل قنار وأخذ الناس يتبعونه أفواجا أفواجا ، ثم ارتحل سالكا طريق قجاق فى ساحل البحر حتى وصل قرية باكل وكان الفرنسيون قد نزلوها وأرادوا أن يمنعوه من دخولها فأرسل إلى القائد الفرنسى إن كان لك أرض فخذ أرضك واترك أرض الله واسعة لعباد الله ، ثم مر إلى أرض بندو وفيها ولد ولده محمد البشير ثم عبر البحر إلى أرض فوتا جلو حتى وصل قرية جكنكو ووجد أهله سالمين ، وانتقل بأهله عند دنجراى وأسس أول مسجد إسلامى بنى لإقامة الصلوات فى تلك الأقطار وأخذ يدعو المسلمين إلى التمسك بالشريعة والوثنيين إلى اعتناق الإسلام ، فأقبل المسلمون عليه ، وأقبلت وفود الوثنيين تدخل الإسلام من كل جهة ، وأقام المساجد وبنى المعاهد ثم شرع فى بناء قلعة هناك لما رأى من قرائن الأحوال أن الزنوج وبعض التكرور ومالنكا قد تغيروا له وقد قام الوثنيون فهاجموه ورد عليهم بالمثل فهزمهم شر هزيمة ، ثم إن الشيخ عمر حشد جميع المسلمين الذين معه وقاتل بهم أهل بنبرة فهزمهم وأخذ يعظ الناس ويظهر لهم محاسن دين الإسلام ويأمرهم بالاستعداد للجهاد ، ووقعت بينه وبين الزنوج الوثنيين معارك كثيرة ، وجاء إليه جل موسى من قواد ملك تمبو وأسلم على يده ثم جاهد معه حتى فتح مدينة تمبو ثم سار إلى بمى وكتاتا ودمر ملكهم ، وحارب هنكل وويلان ووعظهم وشوقهم إلى الجنة ثم مدينَ قاتلهم نهارا كاملا ، ثم ارتحل إلى أرض قدِ عَمَّ ثم صمبن ، وفرغ الماء من الجيش واشتد

العطش بهم فأمرهم الحاج عمر أن يلتجئوا إلى الله عز وجل ، وسأل الله السقيا فمن الله عليهم بمعين ماؤها عذب صاف فشرب الجيش وملؤوا القرب ، وهذا من إكرام الله لناصري دينه ، ثم مر حتى وصل قرية كرهرُ ووجد ما مدكنج من عظمائهم فأسلم وحلق رأسه ودفع الشيخ عمر إليه قلنسوه وكان من عادته كل من دخل فى الإسلام ينطق بالشهادتين يزيل عنه شعار الكفر ويلبسه شعار الإسلام ، وأمر كل الوثنيين بمفارقة ما زاد عن أربع من النساء ، وأمر أصحابه بالمسير إلى كل القرى لإقامة دين الإسلام ، وجعل مقره العام فى نيورو ، وبعد أن استولى على مونيا وكونياكارى سنة ١٨٥٤ م حارب قرية كلمن ، ثم قنبن حاربهم أسبوعا وفتحها وحارب أهل مسبس فاستعصوا عليه وتغلبوا على المجاهدين فلبسَ ملابس الإحرام ورفع صوته بالتكبير ورفع المسلمون أصواتهم فانهزم الكفار وفتح له فى كريق وأخذ يوطد لراية الإسلام بمحاربة المرتدين حتى وصل إلى باغنة ثم ارتحل إلى سنفك ثم جاء جيش أحمد بن أحمد بقيادة بوبكر حمادى صالح حتى وصلوا قرية كسكيروكان على جيش المجاهدين ألفا عمر شرنوبيل فحاربهم فى كسكير وهزمهم ، وأرسل الجيوش إلى ما حوله من القرى وأدخلهم فى الإسلام ، ثم سار حتى وصل سابسرى وارتحل إلى لوجا وحارب بلادا أخرى حتى وصل إلى قرية سنسند وبايعته جميع البلدان وحارب أهل سغ وطال القتال بينهم وكان جيش الأمير أحمد أحمد متعاونا مع الكفار فدافع أهل سغ ومن حولها يعضدهم جيش الأمير أحمد أحمد دفاع المستميت عن البلاد ولكن النصر كان حليف الحاج عمر ومن معه من المجاهدين ، وهرب سلطان الكفار على بن منز إلى حمد الله بلد الأمير أحمد أحمد ، وأخذ الشيخ عمر يوطد دعائم الإسلام فى هذه البلاد فيرسل الرسل ويسافر إليها ويعظهم بنفسه ، وكان يقرأ عليهم صحيح البخارى ليلا ويجاهد بهم نهارا ويقوم معهم طائفة من الليل متهجدين تالين كتاب الله متوجهين إليه عز وجل .

وأمر الشيخ عمر جيوشه ألا تبدأ جيش الأمير أحمد أحمد بالقتال فإن بدأوهم حاربوا مدافعين ، وعقد الشيخ عمر البيعة لولده أمير المؤمنين أحمد الكبير وولاه على سغ .

وأرسل الأمير أحمد أحمد جيشا عظيما مع على بن منز مالك سغ سكرو وجعل عمه يالب رئيسا للجيش مع جيش الكفار واستمروا زاحفين من ماسنا إلى

أرض ماسنا ونزلوا ثمانية أيام فى قرية جفراب ثم هاجموا جيش المجاهدين واشتد الحرب بينهم ثم هزمهم الله .

ثم قدم أحمد أحمد بجيش عظيم مع الوثنيين حتى وصل إلى جيش الحاج عمر واشتد القتال بينهم وكان ذلك اليوم يوما شديداً ثم انهزم الأمير أحمد وجيوشه ومعهم جيوش الكفار ثم جرح الأمير أحمد أحمد فى هذا القتال وأبى الهرب حتى حمله عبيده إلى سفينة لينجوا به .

وسأل الشيخ عمر أين الأمير أحمد فبحثوا عنه فقيل إن عبيده حملوه فى سفينة لينجوا به فتبعه بعض الجيش بمائة جواد حتى أدركوه بموضع يسمى موبتى وممن أدركه ألفا عمر شرنوبيل فوجده فارق الحياة ، فأخبر الشيخ عمر بذلك فترحم عليه ، ثم سار الشيخ عمر إلى قرية (حمد الله) حتى وصلها وبايع له أهل ماسنا . وبين لجيشه أن نساءهم لا تسبى وأن مالهم لا يغنم ولا حق للمجاهدين فيه فإنهم مسلمون وبين لهم الحرمة فى أن ينهب شىء منهم لا كثيرا ولا قليلا . وامتد سلطانه حتى بلغ حدود ماسنا وقارب الحوسا وأقام فيهم الشريعة ومكث فى ماسنا سنة وصلى بهم عيد النحر ، وجمع قواده وأمراءه وقام من مجلسه وأجلس عليه ابنه أحمد وبايعه وخلفه على ما فتح من البلدان وقال له ارجع إلى سغ لأنهم حديثو عهد بالإسلام فرجع بأكثر الجيوش .

فلما رأى بعض ذوى الأحقاد قلة ما بقى مع الشيخ عمر من الجيوش هموا بغدره وإشعال نار الثورة عليه مع أن البلاد قد أمنت وأقيم فيها العدل وارتفعت شعائر الدين ، فكاتبوا البكاى بكسنا بشنقيط ووعدوه بأن يؤمروه عليهم فجاء بجيش عظيم وانضم إليه أتباع الأمير أحمد أحمد وبقايا الوثنيين وحاصروا الشيخ عمر فأرسل التجانى ابن أخيه أحمد بن سعيد ليأتى بالجيوش لنجدته ، ومكث الشيخ عمر فى الحصار ثلاثة أشهر ثم أمر أصحابه بالخروج من الحصار ، فشقوا الجيش المحاصر حتى وصلوا إلى جبل بين البلد وبينه ثلاثة أميال وقد اشتد بهم التعب ومع ذلك فقد التحموا مع أعدائهم فى المعركة واشتد القتال بينهم وأصابت النار مخازن البارود فانفجرت حتى ظن القوم أن القيامة قد قامت وقتل من الفريقين جموع كثيرة ، وظن البعض أن الشيخ عمر قتل فى ذلك الانفجار ولكن ثبت أنه دخل غاراً هو وبعض بنيه ، وقد اشتد بهم التعب ينتظرون قدوم التجانى ابن أخيه

بالجيوش ، وقددنا ميعاد قدومه . ولكن أرشد بعض القوم أعداءه إلى موضعه فأشعلوا النار على فم الغار وسلطوا الدخان إلى داخله ، فتوفى الشيخ عمر مع بعض بنيه وخرج بعضهم وقاتل حتى استشهد .

وانتظر أهل ماسنا حتى بردت نار البارود ورجعوا إلى (حمد الله) وطالب البكاى أهل ماسنا بمبايعته كما وعدوه فأبوا مبايعته واختلفوا فيما بينهم وبينما هم كذلك وصل التجانى بجيشه فنشب القتال بينهم ، ولما علم بما وقع لعمه الشيخ عمر أقسم أن لا يغتسل من جنابة وأن لا يضع جنبه على الأرض حتى ينكل بأعداء عمه فوالى الغزو فيهم حتى أخضعهم واستتب له الأمر ، فقام بالخلافة وجاهد أعداء الدين وأقام الحدود وبذل المال ورحم الفقراء والضعفاء ورتب الدروس وأكرم العلماء وأدام شهود صلاة الجماعة وحضور وظيفة الطريقة التجانية وقرأ صحيح البخارى على الطلبة ست عشرة مرة .

ثم خلف بعده أخاه سعيد بن حي ثلاثة أشهر ثم مات رحمه الله تعالى وخلف بعده محمد المنير بن الحاج عمر ثم دخلت ماسنا تحت أمرة أمير المؤمنين أحمد عامين حتى وصلت جيوش النصارى فدافعوا ما استطاعوا حتى جاؤوهم بأسلحة لا قبل لهم بها لكونها بعيدة المرمى ولا عهد لهم بتلك القنابل فنووا الهجرة إلى المشرق . وهاجر غالبهم إلى الأقطار الحجازية .

وفى رسالة بعثها العلامة الأجل أبو العباس سيدى أحمد بن محمد بن العباس العلوى التجانى الشنقيطى إلى جميع إخوانه القاطنين بالمغرب خصوصا الفقيه الكنسوسى والولى الصالح سيدى العربى بن السائح والمقدم سيدى محمد بلقاسم بصرى رحمهم الله ، فيها شرح بعض أحواله رضى الله عنه نص المقصود منها بعد كلام :

اعلموا أن الشيخ الحاج عمر رضى الله عنه شيخ علم وتعليم وتربية له مريدون عديدون سكن بهم فى فلا من الأرض لم يسكنه أحد قبله ، يعلمهم الظاهر والباطن كليهما ، ويذكرهم ويعظهم صباحا ومساء بالموعظة والحكمة ، ويربيهم بالنظرة واللقمة ، تكفل بكسوتهم ونفقتهم ، سمعته مرة يقول أقل ما يخرج من بيتى للأضياف فى كل ليلة قبل هذا الجهاد خمسمائة مائدة وأقل ما يكون فى المائدة الواحدة قرى خمسة أضياف .

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

ولم يزل هذا حاله إلى أن وقع عليه الكفار ، قال لى رضى الله عنه وقع علينا الكفار ولم يكن لى إذن صريح فى جهاد الكفار من جانب الحضرة الإلهية وإنما لى إذن من رسول الله ﷺ ومن الشيخ التجانى رضى الله عنه بالدعوة والإرشاد إلى الله تعالى ، وأخبرت بعد ذلك بأنى مأذون فى جهاد الكفار ومنصور عليهم من طرق شتى بعضها من رسول الله ﷺ ، وبعضها من الشيخ التجانى رضى الله عنه ولم أفعل حتى وقع علينا الكفار فأخذت الإذن من قوله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) وأنجز الله تعالى وعده ، وهزم الأحزاب وحده .

لذا أعلمنى الله تعالى بعد العشاء ليلة الاثنين لعشر بقين من ذى القعدة الحرام عام ثمانية وستين ومائتين وألف بأنى مأذون فى الجهاد بهاتف ربانى يقول لى أذنت فى الجهاد فى سبيل الله ثلاث مرات فكان ما كان من أمره فيه مما لم يكن الخط هنا يفيه ، ثم إنه ما زال يقاتل الكفار عبدة الأوثان والأصنام والجاحدين لرسالة سيدنا ومولانا محمـــد عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى السلام ممن لا عهد عندهم ، ولهذا قام مقام واحد من أئمة الإسلام ونصره عليهم خارق العوائد ومذهل للأفهام حتى دخل قاعدة بلادهم الكبيرة ذات الأصنام الكثيرة والكنوز الشهيرة مدينة سيق بسين مهملة مفتوحة وياء ساكنة وقاف معقودة مضمومة وهى التى سمى البلد بها فخمدت نار الكفر بدخولها إخمادا وارتفع نور الإسلام ازديادا ولم يبق مسلم إلا وامتلأ قلبه فرحا وسرورا ولا كافر إلا وامتلأ قلبه خوفا وثبورا .

بعد ذلك تجبر عليهم شياطين الإنس ممن كان الناس يظنون أنهم فى المرتبة القصوى فى الدين وأنهم من الأئمة المجتهدين وهم من جملة السوادين وهم الحاكمون مدينة تنبكتو التى تسمعون بها وهم كثيرون جدا ويقال لهم ماسنة وسلطانهم أحمد بن الشيخ أحمد لبّ بتفخيم اللام وفتحها وضم الباء المشددة وكان البكاى يهجوه ويتعوذ منه وفيه يقول اللهم يامن محمد وجبريل عبده ، من أحمد أحمد نعوذ بك اللهم ومن وزرائه وأعوانه فهم أشد وأنكد .

ووالده الشيخ أحمد لبّ هو أول من بويع له منهم على وجه السلطنة والإمامة وهو ذو علم ودين إلا أن السلطنة ما دخلها أحد قط وسلم منها كما تعلمون ذلك .

وقد كتب مرة إلى السلطان مولانا عبد الرحمن تغمده الله برحمته الواسعة أنه يجب عليه مبايعته ومر الحاملون الكتاب ممن أخذ الكتاب منهم ،

وقد كتب أيضا بمثل ذلك إلى حوس عتيق الشيخ عثمان بن فودى ، وكذلك كتب إلى كل سلطان يليه فى الجهات الأربع على ما بلغنى ، ثم إن أحمد أحمد هذا اجتمع مع الكافرين على محاربة الشيخ عمر ، وغزاه ثلاث مرات بجيوش عديدة من مسافة بعيدة ويهزم الله تعالى جيوشه وقع هذا كله بحضورى وسافرت عن الشيخ عمر بعد هزمه جيشهم الثالث وبعد سفرى عنه غزاهم الشيخ فى أرضهم وقتل سلطانهم المذكور واستولى على جميع بلادهم وبايعوه عن آخرهم ، ثم إنهم ارتدوا بعد ذلك والعياذ بالله تعالى وطلبوا من البكاى أن يعينهم عليه باجتماع كلمتهم على محاربته وبوثائق يكتبها بيده ويرسلها إلى النواحى بتكفير الشيخ عمر رضى الله عنه ويأمر من دخل فى الإسلام من الكفار على يد الشيخ عمر بالخروج عن طاعته ويستنفر لهم الناس لحربه سواء كانوا أهل كفر أو أهل إسلام وقالوا له إن فعلت لنا ذلك وغلبناه نصبناك إماما ونبايعك عن آخرنا على التمام فأجابهم إلى ما قالوا وأتقدت نار الفتنة بعد إخمادها وانشقت عصا المسلمين بعد التئامها فكان ما كان من أهل الآفاق مما سمعتم من الافتراق والشقاق وإلى الآن ما وقع اتفاق ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وتعادى الأخ مع أخيه والابن مع أبيه حتى أن آل سيدى الشيخ المختار افترقوا فرقتين فرقة مع الشيخ عمر كبيرها حمادة بن سيدى المختار وفرقة مع ماسنة كبيرها البكاى والحرب فى الحقيقة بين الشيخ عمر وماسنة لأنهم هم أهل العَدد والعُدد وكان البكاى قبل ذلك يرسل الشيخ عمر بوثائق المدح والسؤال وغير ذلك مما جرت به عادته فى الرسالة الواحدة للشخص الواحد وفى ذلك يقول أخونا محمد بن عثمان مخاطبا للبكاى فى قصيدة له :

مدح وذم فى مقام واحد   من واحد ولواحد عجبـــان

إلى أن قال فى هذه الرسالة وأما ما سمعتم من موت الشيخ عمر والبكاى فموت البكاى صحيح فى منتصف شهر رمضان سنة ١٢٨١ والشيخ عمر أعداؤه يقولون بوفاته فى أربع من رمضان فى عام شرف ١٢٨٠ والعلم عند الله . اهـ

من كشف الحجاب لسيدى أحمد سكيرج رحمه الله .

الحاج عمر الفوتى

سلطان الدولة التجانية

ما وقع بينه وبين أمير ماسنا بغرب أفريقية

ولد ١٢١٢ — وتوفى ١٢٨٢ هـ

١٧٩٦ — ١٨٦٤ م

الأمير أحمد أحمد أمير ماسنا أسلافه من قبيلة الحاج عمر من فوتا ، لا من ماسنا ، ومن المعروف أن المحققين من علماء ماسنا لم يرضهم مناصرة الأمير أحمد أحمد لجيوش الكفار على المسلمين بقيادة الحاج عمر الفوتى ، ولذلك لم تأخذهم فى الله لومة لائم وانضموا إلى جيش المسلمين المجاهدين للكفر ، ومنهم الشيخ تُركُنى طلف (وديعة الله) الماسنى ، طاعة لقوله تعالى : (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره)

الزاوية التجانية ٩ الدالى حسين المغربلين — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على من لا نبي بعده اللهم صل على النبي الحبيب

القسم الأول

***

١ ــ رسالة الأمير أحمد أحمد أمير ماسنا .

٢ ــ رد الحاج عمر على ما جاء فيها من مغالطات .

كتب به إلينا المقدم الفاضل الحاج أبو بكر عتيق من علماء كانو ــ نيجيريا .

ويوافق ذلك ما وجدناه عند الصديق العلامة المرحوم الشريف عبدالله عمدة البرداب التابعة للدلنج بكردفان بجمهورية السودان .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم

المقدمـــة

لما رجع العالم المجاهد الحاج عمر بن سعيد الفوتى من الأقطار الحجازية إلى بلاده فى السودان الغربى ، وكان يدعو المسلمين إلى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والرجوع إلى الشريعة المطهرة ، وترك العادات التى تتنافى مع ما جاء به الرسول سيدنا محمد صلى الله وسلم ، ودأب على شرح الكتاب العزيز وقراءة السنة المشرفة ، أقبل على صحبته وتلقى الدروس عنه من كان يحب العلم والعمل به ، وكثر أتباعه فخشى أعداء الإسلام — من ملوك الكفار — من ظهور عصبية إسلامية فى تخومهم ، فعملوا على إطفاء ذلك النور قبل أن يشتد ويهاجمهم ، وخصوصا بعد أن رأوا الكثير من اتباعهم يعتنقون الإسلام ويلتحقون بالشيخ الحاج عمر ، فاضطر أن يعمل للدفاع عن الإسلام ومعتنقيه ، فنصره الله .

وما زال يتغلب على ملك بعد ملك من ملوك الكفار ، إلى أن وصل إلى سغُ سيكرو ، وكان سلطانها من جبابرة ملوك الكفار وأعظمها غنى وثروة . فاشتد القتال بينه وبين المجاهدين الفاتحين . وما كان يظن ذلك السلطان أنه يغلب فلما بدأت كفة المسلمين ترجح استعان ذلك السلطان بأمير ماسنا الأمير أحمد بن أحمد ابن الشيخ أحمد بن محمد لبُّ(١) ، مع أن العداوة كانت قائمة بينه وبين الأمير أحمد وآبائه من قبل .

ولم يقع ذلك الاتفاق إلا بعد أن شعر سلطان سغ بالضعف أمام المجاهدين تحت راية الحاج عمر ، وتوسع سلطان سغ فى الأمانى لأمير ماسنا وأرسل إليه من الهدايا الشىء العظيم . فأمده الأمير أحمد بجيش من المسلمين اختلط مع جيش سلطان سغ الكفار الوثنيين فى محاربة جيش الحاج عمر فى حربه مع أولئك الكفار . وأراد الأمير أحمد أن يبرر قتال المسلمين بأن سلطان سغ واتباعه تحت بيعته ، مع أن الشريعة لا تبيح أن يكون الوثنيون إلا مخيرين بين أمرين :

---

(١) الشيخ أحمد بن محمد لبُّ أصله من فوتا من أهل الحاج عمر لا من ماسنا وكان من العلماء الصالحين ومن كبار الصوفية الداعين إلى الحق وبويع له بالسلطنة على ماسنا .

الإسلام أو الحرب . وليس أولئك القوم أهل كتاب . فتبادل أمير ماسنا والحاج عمر الرسائل فأمير ماسنا يريد رجوع الحاج عمر عن محاربة أولئك القوم ، والحاج عمر يدعو أمير ماسنا إلى ما حكم الله به بأنهم إن أرادوا أن يحقنوا دماءهم فليسلموا وليتركوا عبادة الأوثان ، ويطلب من الأمير أحمد أن يتعاون مع جيوش المسلمين على محاربة أولئك الكفار ، أو يترك معاونتهم على المسلمين ، وقد أمر الحاج عمر ألا تهاجم جيوشه جيوش الأمير أحمد ، وأن يبتعدوا عن هذه الجيوش بعد انتصارهم على جيوش الكفار ودخول مدنهم وتقويض ملكهم مع سبق محاربتهم للمسلمين مع جيوش الكفر ، وقال إن حكمهم حكم البغاة لا يبدأون بقتال إلا أن يكونوا هم البادئين .

وقد أطاعت جيوش المجاهدين أمر الحاج عمر ، فعدلوا عن قتالهم ، وابتعدوا عن المواطن التي ينزلون بها ، ولكن الأمير أحمد جمع جيوشا من المسلمين ومن فلول المشركين وهاجم جيش الحاج عمر ، فنصر الله الحاج عمر .

ومما بلغنا عن الثقات ، أن سلطان سغ الوثني - عَلي بن مُنزُ - المعروف ب عَلي وَيْتَالَ - نسبة إلى بلد يقال لها وَيْتَالَ - بعد أن غلب على أمره والتجأ إلى الأمير أحمد أحمد سأله : هل ربكما واحد أو لك رب وللحاج عمر رب ؟ فقال الأمير أحمد : بل ربنا واحد . فقال له : إني حاربت كثيرا من الجيوش فلم يستطع أحد أن يتغلب علي إلا الحاج عمر ، اسمع يا أحمد : إن كان لك رب وللحاج عمر رب فرب الحاج عمر أقوى من ربك ، وإن كان ربكما واحد . فهو يحب الحاج عمر أكثر مما يحبكم وهذا يدل على أن علي بن منز ما عرف الإسلام .

ولما انتصر الحاج عمر على الأمير أحمد ، واستولى على البلاد ، وقُتل الأمير أحمد وجد الحاج عمر الأصنام التي يعبدها عَلِي بن مُنزُ في داره مما يدل على أنه لم يسلم وكان منها أصنام من ذهب ، وأشهد الناس على ذلك . ثم أعلن علي بن منز إسلامه ووكل الحاج عمر به من يعلمه الإسلام وقبل الحاج عمر ظاهره والله أعلم بصدقه .

ولنبدأ هنا بالوثيقة الأولى وردها وهو القسم الأول ثم رد الوثائق الأخرى جملة والله ولي التوفيق .

محمد الحافظ التجاني

الوثيقة التى أرسلها أمير ماسنا الأمير أحمد أحمد إلى الحاج
عمر بن سعيد الفوتى سلطان المسلمين المجاهدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده

الحمد لله رب العالمين الآمر بإصلاح ذات البين بقوله : (وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) والصلاة والسلام على أشرف المرسلين الذى يقول الحق ويهدى إلى سبيل الحق من حاد عنها من المسلمين وعلى آله وأصحابه خير صحب وقبيل وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فإنه من أمير المؤمنين أحمد بن أمير المؤمنين أحمد بن الشيخ أحمد بن محمد أمننا الله وإياه فى الدارين آمين ، إلى الأخ الفقيه الحاج عمر بن سعيد رضى الله عنه ووفقنا الله وإياه لكل فعل سديد وعمل رشيد بالسلام والرحمة والبركة بدوام تعاقب السكون والحركة وبحمد الله الذى لا إله إلا هو الذى أسبغ نعمه الظاهرة والباطنة عليه .

أما بعد فقد بلغنا على ألسنة الواردين بحيث صح لدينا أنك حللت سنسند ودخلتها بعد ما بلغك وسمعت أنهم بايعونا وأنهم من سائر رعياتنا لشهرة ذلك وشيوعه وعلم العام والخاص بوقوعه فساءنا منك ما بلغنا عنك إذ أنت المعتقد الموموق المقتدى به بين الناس الموثوق ، فإن صرت إلى مثل هذا من الأفاعيل والأخذ فى إثارة الفتن وإحياء الأباطيل اتخذك أهل الأهواء حجة فى ذلك وذريعة إلى ما هنالك ، فعاثوا وأفسدوا وأضلوا ، وتصير أعاذك الله من ذلك مصيبا لقوله تعالى : (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) ، وأنت تعلم قوله صلى الله عليه وسلم « الفتنة نائمة ملعون من أيقظها » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا توجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما فى النار قيل فهذا القاتل . فما بال المقتول؟ قال إنه أراد قتل صاحبه » ، وقوله صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » إلى غير ذلك من الأحاديث هذا على أننا نراك تتسلل تسللا وتسرُّ الحسو فى الارتغا إلينا فقد تعرضت لنا دون أهل باغنة وهم بغاتنا إذ كلهم داخلون تحت بيعتنا من رئيسهم المختار إلى مرؤسيهم صُنْبَن وغيره كما يعلمه كل أحد فصنبن بغى بغير سبب بل بمجرد الظن كما قيل

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم .

وقد علمت أن لنا قتال الباغى فنى خليل : الباغية ، فرقة خالفت الإمام إلى قوله : فالعدل قتالهم فياليت شعرى بماذا استحللت قتالنا معه فأعرضنا عنك خوفا من الله تعالى فى إثارة الفتن بين المسلمين لا خوفا منك لأنا لا نراك تجاهد وتغلب إلا من وجدتنا غلبناه ، من باغنة إلى هنالك فإن هؤلاء البنابرة وجدتنا أضعفناهم كل الضعف نغزوهم ولا يغزوننا ونغير عليهم ولا يغيرون علينا فأتيتهم وهم فى أضعف حال وأتيناهم فأخذوا فى طلب صلحنا كما كانوا يفعلون قبل مجيئك إليهم ، والآن أسلموا وكسروا الأصنام وبايعونا وكتبنا إليك هذا الكتاب لنعلمك بذلك ويكون أهل سنسند مبايعين فإن قبلت تركهم جعلك الله من القابلين فعسى الله أن يجمعك عليه ويأخذ بناصيتك إليه فتترك إثارة الفتنة بينك وبين إخوانك فالجواد يكبو والصارم ينبو فتدارك ما فرط منك ولا تعرض عن الله فيعرض عنك فلابد للعبد من ربه فى جميع الأحوال أو إن أصررت على ذلك وتماديت فيما هنالك ورضيت بتحمل دماء المسلمين فى عنقك ولم تبال بنهى خالقك ومليك رقك فإنا لله وإنا إليه راجعون ومن أنذر فقد أعذر وجاز دفع صائل ولو بقتل بعد الإنذار الفاهم (يأيها الذين ءامنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم) والسلام أولا وآخرا والباقى فى فم الرسل حاملى براءتى هذه والسلام .

رد الحاج عمر بن سعيد على رسالة الأمير أحمد أحمد

بسم الله الحمد لله ما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وصلى الله على سيدنا محمد الذى من والاه عز ولم يهن وعلى آله وصحبه وتابعيه من حزبه :

منا إلى أحمد بن أحمد وجماعته من الماسنيين سلام يشيعه دعاء بالثبات على الدين الحنيفى محضا وإكرام . أما بعد فقد وردت علينا رسالة من جهتكم مضمونها ما فيها جملة من التفث محركة الشعث وهو انتشار الأمر ومصدره المغبر الرأس وأفعال العقلاء مصونة عن العبث فرأينا أن فى ترك مجاراتها فى منوالها أى فائدة إذ خير الكلام ما قل وأفاد قاصده لكن قد علم أن من حق الكتاب رد الجواب إذ بالسكوت عندها يعظم موقع ما فيها وهو حقير (إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) وذلك أن كاتبها جعلها على منوالين : أحدهما ماموه بكذبه والثانى إيراده الحجج على مستكتبه ، أما الأول فما أظن يرضى بنسبة ما فيه من الكذب إليه أدنى المسلمين عقلا ولا أن يستمعه من يعلم فرضا أو نفلا ، وأجرى من يقال

فيه إنه أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين بن شيخ المسلمين ، وأما الثانى فما أظن أيضا إلا أن كاتبه عمى عن حقيقته واستغفل من استكتبه بخديعته وشواهد الأحوال وقرائنها تفيد بجوابه عنا فلا يحتاج إلى تبيين منا .

أما قوله فى مبايعة أهل سنسند إياكم وكونهم من رعاياكم وأن ذلك اشتهر وعلمه الخاص والعام وانتشر فالجواب فيه إنا ما سمعنا بهذه البيعة ولا طرقت سمعنا هذه الوقعة فما كانت قبل هذه المقالة ولا أنشئت إلا فى هذه الرسالة وأحرى علم الخاص والعام بها فالله أعلم بقصد كاذبها فى جلبها وما زلنا حيث فتح الله لنا حتى أتتنا مكاتيبهم بأنهم منا يأمروننا بإنقاذهم من مغربهم ومشرقهم والله أعلم بكذبهم وصدقهم فأتيناهم ثم أحضرنا رسلهم إلينا ودعونا كبارهم فاجتمعوا علينا وسألناهم بحضرة رسلكم وأعلمناهم بمضمون مقولكم فسألنا من مكننا من الرسائل فقلنا أأنت مكنتنا من هذه الوثائق ؟ قال نعم . ثم سألنا كاتبها فقلنا هذا خط من قال خطى فقلنا من أمركم به : فقال هذا وأشار إلى كبير القصر ، ثم سألنا كبير القصر فقلنا أأنت أمرت هذا بهذا : قال نعم . ثم سألناهم بحضرة رسلكم أيضا هل هم فى بيعتكم أو لا ؟ فقالوا لا والحق أننا أعطيناهم الأموال مداراة وخفنا من شنهم علينا الإغارات ـ وقد كنا لما جئنا إليهم قبل دخلنا القرية قهراً من الله لهم إذ لم يكن قبل ترضاه عقولهم وألجأهم إلى ذلك علمهم بأن الله عز وجل عودنا من فضله ، وكرمه أنا لا نشاهد قرية إلا ودخلناها طوعا أوكرها فما علموا لزدنا ومنعنا من الدخول وجنها فلما دخلنا لم نجد والله يعلم فيهم أمارة من بايع مسلما ولا من اتخذ يوما معلما وكيف تصح مبايعة تنتج معية ولم تدخلوا قصرهم وقتا ما ولم يرضوا بذلك فيما تقدم ومررتم به مرة بعد مرة إلى ما تطلبون فما قبلوا دخولكم ولا سمعوا مقولكم فهذه اختراعة مختلقة وكذبية مصنوعة غير محققة وأما قول هذا الكاتب هـــذا على أنا نراك تتسلل إلينا تسللا وفى القاموس وتسلل انطلق فى استخفا الخ . فجوابه إنا لا نظن أننا فى محاربة الكفار ومحاولة قطع دابرهم متسللين إليكم إلا بعد تحقيق أنكم وهم على حد سواء أعاذكم الله من ذلك فإن كان ذلك تسللا إليكم فنحن والله لا نزال فى الأمر ونتعبد الله به ونحمده على ما جعلنا فى ذلك ولا نزال إن شاء الله على نيته امتثالا لأمره عز وجل واجتنابا لنهيه .

وأما ضربه للمثل فهو جهل بحقيقة مضربه ومورده هزؤ به تسلله فى مقصديه

ونحن عمدنا إلى الكفار تصريحا قتالا وتبريحاً وأما تعرضنا دون أهل باغنة وأنهم تحت بيعتكم جميعا فقد علم كذبه عند عامة من يعرفها إذ إتياننا إليها وجدناها على ثلاثة أقسام قسم « كفار » محضا وقسم « منافقون » رفضوا الدين رفضا وقسم « مسلمون » تحت القسمين مسجونين بأيدى ذمتين ولا نعلم مبايعة إسلامية تعم جميع هؤلاء وإلى الآن ما تعرضنا دونهم بل دون أنفسنا وحريمنا وضعاف قومنا فياليت شعرى ما الموجب إلى صولتكم علينا حتى وصلتم كسكيرهل هولا المعاندة الخالصة والفئة القالصة السايرة الحاملة للعناد واعتقاد أن الله لا يفعل إلا ما ترضون حتى لا تزالوا وأنتم الأعلون ما زلتم تمرون بالمشركين وتغربون غير منفكين حتى كان من قضاء الله ما كان وأما أنهم بغاتكم فعلى تسليمه فقد أوجب الله عليكم قبل قتالهم قتال من بينكم وبينهم من المشركين الخالصين الذين لم يشوبوا شركهم بزى المسلمين وأما أمر صنبن فإن بغى عليكم بعد ما ارتحل عن وطنه إليكم فالله يعلم سبب فراره منكم إلى قراره وأما قول هذا الكاذب فأعرضنا عنك خوفا من الله الخ. فإن كان أعراضكم عدم مواخاتكم الكفار علينا أيامئذ فهو كذب محض فقد تراسلتم والعربان وبقية أهل صَبُنْيِـد وأهل كعب فى قتالنا فأبى الله إلا ما أمضى من قبلنا وإن كان عدم مواخاتكم بعد ذلك فالله أعلم بصدقه وكذبه وأحذركم الآن من ذلك وأعظكم بالله أن تكونوا كذلك فظهر أن قوله خوفا من الله لا خوفا منك مجرد دعوى تحتاج إلى بيان جدوى .

والدعاوى مالم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعيـــاء .

وأما قوله لأنا لأ نراك تجاهد ولا تغلب إلا من وجدتنا غلبناه من باغنة إلى هنالك لجوابه يعلم بعد تحقيق من الابتدائية فيعم مجرورها كله إلى الانتهائية وظهور أن هنالك المشار به لا يقصد به إلا سنسند ويصير حينئذ تصويره ما غلبت من أهل بلاد باغنة كلا إلى أن جئت مدينة سنسند إلا من وجدتنا أضعفناه وغلبناه قبلك فهذا والله أكبر كذب اخترعه هذا الكاتب وأبهر غريب اختلقه هذا الكاذب والله جل اسمه يعلم والمسلمون المحققون يعلمون كذبته صرفا والكاذب لا يقبل الله منه عدلا ولاصرفا فأيها المسلمون المخلصون قوموا بينى وبين هذا الكاتب شهداء (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) فأقيموا بينى وبينه ما حكم به الشارع ولا تأخذكم فى الله لومة لائم فهل مروركم بأرض كرت السوداء ووقوع

قرن بكم وهزمه إياكم وأنتم العسكر الذى يؤمن مناره ويحرم فى حكم الله فراره أيام دبوا هو الذى أضعف أهلها حتى استولينا عليها وعلى ما حولها وهل اجتماع شريدكم من هذه الهزيمة قريبا من جنقتى وخوفكم من أهلها هو الذى فتحها لنا وهل مروركم بقصر دق وغصبهم بفركم وغنيمته منكم هو الذى جعل أهل موسى يفرون لنا وجعلهم تحتنا وهل إغارتكم على أهل ألصو وهم مساكين فطردوكم وأجلبتم عليهم بالخيل والرجل ورمتم هدمها ثم رجعتم خائبين هو الذى جعلهم من تحت عيالنا وجعل من كان قريبا منهم من مخالفينا وهل مساعدتكم الكفار من أهل تمب وتحزبكم معهم علينا وهم كفار هو الذى أضعفهم حتى صاروا منا وهل مرور جيوشكم بنواحى باغنة خائبة هو الذى أضعف أهلها جميعا حتى أدخلها تحت ظلنا أيضا فبالله أيها المؤمنون قوموا شهداء بينى وبين هذا الكاتب الكاذب ولا تكتموا شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين وانظروا بينكم هل يرضى بنسبة هذا الكذب إليه أدنى المسلمين عقلا وأحرى من يقال فيه إنه أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أصلا فهذا مفهوم قوله من باغنة وأما بقية انتهاء إلى فقد حل كذبها ما كنه فهل هو أعمى عن مواقع المقصود فى كلامه أم جاهل بحقيقتنا وحقائق أمورنا الشايعة بين أقوامه ، وبالله سلوه هل تذكر اجتماعكم وتحزبكم ونهوضكم بجملتكم وفيكم أحمد نفسه وأغرتم على سفسند ورجعتم ونحن حينئذ عند سابسرى فما منعهم يومئذ من مبايعتكم والدخول فى زمرتكم وهم أضعف أهل سغ إذ هم ماسوانك وأضعف وأرذل من ذلك وهلا تذكر أيضا أخباركم فى باغنة ونحن فى مغرب فوت لم نقم فى قتال المشركين غارة ولا حللنا لهم فى عمارة فما منع أهلها من الانقياد لكم طوعا أو كرها وما أوقع من فيها فى مداهنتكم بالأموال عن الدين الحنيفى وقبولكم ذلك وليس له وجه إذ هم وثنيون وأما ما وقع بيننا وبين أهل سغ الذين زعمتم أنكم قبلنا أضعفتموهم وأغرتم عليهم وأهنتموهم فهل من جيش لكم فى بلد دق فأوهن أهله كلهم أو عرفتموهم بالضعف والعلة فحكمتم عليهم بالضعف تعمية وتساهلا فى تطوره والحكم على الشىء فرع تصوره فبالله سلوه عن دار رب الكفار وأصنامهم وعبدتهم فى نوائب أيامهم هم بأنفسهم لا يقدرون على المرور بها بعساكرهم خوفا فى اعتقادهم مما اعتاده فيها سحرتهم من مناكرهم وأحرى أنتم وهى مركى كما علمتم هدمها الله لنا لما واجهناها وأجلى من خوفنا من والاها

لما شاهدناها وهل هزمتم أهل تلك الأرض لما تحزبوا علينا فصرفتموهم بالهزيمة إلينا كلا والله لقد قدموا من الكثرة بمنزلة من الضعف هى أبعد بعيد ومعهم من أهل كجاغ عسكر عديد فهزمناهم بإذن الله عز وجل وفرقناهم أيدى سباعن بجل وهل كذلك فعلتم بجيوش بنت الذى لا تقدرون على ملاقاته ووصفه وأحرى أن تكونوا هممتم بإضعافه فما هو إلا أن ملأ علينا الأفق هزمناه أشر هزيمة ما كان لكم مثلها فى أيامكم القديمة وهل شاهدت أعينكم دق فوصفتموها أو زحفتم إليها فأضعفتموها فيكون ذلك سببا فى استيلائنا عليها ونهوض جيوشنا إليها كلا والله ما كان ولا استقر ذلك وأنتم أعلم بما هنالك وهل هزيمتنا لجيوش بنت وباج وقتلنا إياه فى قن كانت بعد إضعاف منكم صدر أو مناهزة ومقاتلة جاء بها القدر كلا والله وهل جلاء أهل جيمن كان من خوفكم ورعبكم فدخلناها خالية بسبب حربكم كلا والله فلا هدمتم جاب وويتال فى هذا الخريف لما أتيتم بعددكم وعديدكم وجيوشكم وجنودكم ونحن فى جامن وهم منكم مسيرة يوم فهل أضعفتم أهلها برجوعكم بالأموال صلحا ومداهنة عن القتال فكان ذلك سببا فى هدمنا لهذين العسكرين كلا ورب المشرقين ورب المغربين بل هو من فتح الله لنا خاصة، هدم فى جاب رءوس المشركين من سغ سيكر إلى المغرب وهدم فى ويتال كبارهم وقوادهم ونوابهم منه إلى المشرق. وقتلنا من أولاد ميسن مالم تقتلوا مثله من عبيدهم وسبينا من بناته مالم تقدروا عليه ولو من تريدهم فبالله قل لى أيها الكاتب الكاذب هل قتلتم من أبناء ملوكهم فى مدة أربع وأربعين سنة واحدا ولا تكن للحق جاحداً أو سبيتم من بنات ملوك سغ واحدة فيما مضى أو قدر الله لكم ذلكم أو قضى فأنتم فى جهادهم منذ أربع وأربعين سنة ما أخذتم لهم صبيا غلبة ولا عنتا ـ العنت محركة الفساد والإثم والهلاك ودخول المشقة على الإنسان ـ ونحن فى سبعة أشهر قتلنا منهم حقيقة ومن ملوكهم الأصلية وسبينا من بناتهم وبنات رؤسائهم من كل قبيلة فهل إضعافكم إياهم كان بالإغارة كما احتج به هذا الكاتب بالإشارة وهل الغلبة المذكورة كانت بإتيان الجيوش ورجوعها خاسرة خائبة راضية من الغنيمة بالإياب سالمة .

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا ياسعد تورد الإبل

ويعجب العاقل من قول هذا الكاتب أى عجب ويضحك من كذبه فى قوله إذ حجب قلبه ما حجب فإن هؤلاء البنابرة وجدتنا أضعفناهم كل الضعف

فيا ليت شعرى ما معنى كل الضعف والناس شهداء على أن أقله ما وقع فكيف ببعضه بل كيف بنصفه بل كله هذا والله الكذب الصريح ومخالفة الصحيح فإنا والله من باغنة إلى سنسند ما وجدنا فى الجميع إلا من لا تقدرون عليه ولا تهمون بأن تزحفوا إليه فيصدق قولكم إن أهل باغنة كلهم تحت بيعتكم هدمكم لبساق لو كان فى همتكم ويصدق ضعف البنابرة فيحكم لأحدى هذه المدن المتقدمة وجنودها المتكاثرة لو قدره الله لكم وهى قرى قريبة ممن حولكم فيصح حينئذ قوله أهل باغنة كلهم وقوله أضعفناهم كل الضعف فهذا الكل لم يقم مقام البعض فى الحقيقة وأحرى أن يبقى كليا عند الخليقة هذا والله العجب بكله والكذب بجله لكن الغيرى لا تبصر أعلا الوادى من أسفله والأعمى لا يميز ظاهر الأمر من مقفلة .

وإن لسان المرء مالم يكن له حصاة على عوراته لدليـــل

وكذلك قوله وأتيناهم فاخذوا فى طلب صلحنا كما كانوا يفعلون قبل مجيئكم إليهم من العجب بمكان فهل يرضى عاقل حر مسلم بأن يفعل محرما إجماعا ويفتخر به أو يرسل إلى جماعة المسلمين فى حال تبيينه لرتبته . هل يجوز الصلح والمسلمون لهم السطوة والقهر والغلبة والقوة ؟ أم هل تجوز المهادنة بين المسلم والكافر ضاقت عليه الأرض بما رحبت ورأى طوائف الإسلام قد غلبت وهو وثنى يعبد من دون الله أربابه ويتخذ وقاية لكفره ، معطيا أذهابه هذا والله العجب وهو مخالف لقوله : أضعفناهم الماضى فأقام الحجة على نفسه ليته خوصم عند القاضى وأما قوله : والآن أسلموا وكسروا الأصنام وبايعونا فهو من أمهات العجائب وأغرب الغرائب كيف يصح إسلامهم وهم والله اليوم على كفرهم أم كيف تصح مبايعة من تقطن قرونا على كفره ، ولم يدخل أحد داره أم كيف تصح معيشتهم منكم وبينهم وبينكم من الشرك بالله القائم مناره مالا يعد أم كيف تباح لكم أموالهم التى أعطوكم فى الكراء على أن يتخذوكم عضدا ضد إخوانكم المسلمين المجاهدين لهم فهلا أسلموا أيام أحمد لب أو أيام ابنه أحمد ابن الشيخ أو سوابق أحمد هذا أو فى العام الماضى أو فى أول هذا العام قبل اجتياحنا لدارهم وإجلائنا إياهم عن قرارهم وقطعنا لدابرهم واستيلائنا فى سبعة أشهر على بلادهم واستخراجنا لاقتسام كرائم تلادهم وإبادتنا لكبرائهم وإعدامنا لنظرائهم واستعبادنا بناتهم واستئصالنا

لشأفتهم وأنتم فى مدة أربع وأربعين عاما تقاتلونهم ما هموا لـــكم بتوبة ولا عزموا إليكم بأوبه ولا غنمتم من أولاد ملوكهم أسيراً ولا قتلتم من رؤساء دولتهم كبيراً وهلا بايعوكم وهلا قاتلتموهم من المشرق أيام نحن نقاتلهم من المغرب بل أمسكتم أعنتكم مع كثرتها وتركتم نفوسهم مع نفرتها ظنا أن يغلبونا أيام يقاتلونا ونطالبهم ويطالبونا وخليتم بيننا وبينهم وهم مشركون يعبدون الأصنام من دون الله يقتتلون وأنتم ساكنون بينهم وبين أهل لا إله إلا الله حتى غلبهم المسلمون والحمد لله وسقطوا فى الذلة والهوان أتيتم تجادلون دونهم وتستمطرون مزونهم فما زال القتال فى غايته كلكم ساكن فى غابته حتى بلغ الحد وأنجز الوعد ولم يبق إلا الغنيمة الباردة فأتيتم واضعين شبكتكم المائدة تريدون أن تدخلوهم فيما ابتدعته قلوبكم متحزبين على من ألجأتهم إليكم حروبهم كلا والله ، ثم والله ولا والله إن أدنى ما يكون بيننا وبين على بن منز هذا أن لا يدخل غارا إلا ودخلناه فى أثره فسنخ دولة كفر هدمها الله على أيدينا لا على أيديكم ولئن سألتم من حضر أحمد بن الشيخ لما أتانا ونحن فى حمد الله يطلب منا الدعاء بالإعانة على أهل سنخ ويشكو من صعوبة أمرهم أيام أبيه أحمـــد لب ولم يكتموا الشهادة خوفا ليخبرن بأنا قلنا له يا أحمد لا تتعبوا أنفسكم فى سنخ فإنه لا يفتحه الله إلا بدى هذه فاشتغلوا فيما يقاربكم من الكفار وغيره فله وقت معروف ولكن الحق أن أهل سنخ الآن لم يبق منهم والحمد لله إلا على هذا وحده بلا عيال وأيقن بالتهلكة وذهاب المملكة فاراد أن يتخذكم عضدا دون كفره ويوقع الحرب بينكم وبين إخوانكم من المسلمين ويبقى على نكره فأعطاكم الأموال فقبلتموها واتخذ لكم كذبية بلسانه فأفشيتموها والمؤمن الصادق المخلص العاقل المنصف إذا أعطاه شيئا وهو يعلم ما حل بعل على أيدينا لا يقبل ما أعطاه لعلمه بأنه لا يجوز له أخذه طبعا ولا شرعا لأنه ما أعطى ذلك إلا ليصد عن سبيل الله كما قال تعالى (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) ولكنه يقول له إن الذى أعطيتنا هذا المال لأجله وراءك فأنا وهو ند عليك فارجع إليه لأنك ما أعطيتنا الآن شيئا لخوفكم إياى بل لخوفكم إياه وأنا أخاف الله من أخذه وأستحى من الناس لئلا ليتكلموا على يسوء ثم يحذر أن يقع فى قوله تعالى (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) وأما قوله

(فإن قبلت تركهم جعلك الله من القابلين الخ) فجوابه أنه مع ما فيه من الدعاء على بترك قتال الكفار أمر لا أنفك عنه حتى يمحق الله دولة الكفر بدولة الإسلام ومع ذلك فقد أمرتمونى بأمر يعلم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أنه محرم إجماعا وهو الرجوع عن الكفار بعد ما أحيط بشرهم وتركهم على إشراكهم وكفرهم والجهاد لا أنفك عنه ولا أزال أتعبد الله به وأرجو به نيل الدرجات فى الجنة والنصر عنده فكيف أدع عبادة ما وضعنى الله فيها إلا بمحض كرمه ليجتبينى إليه وهى أنفس عبادة فأخافه فى تركها وأما قوله (ومن أنذر فقد أعذر) فهو كلام لم يحرك ساكناً ولم يؤثر كائنا فما رأينا إنذارا ولا إعذارا ولكن هو من إيراد الحجج على مستكتبه ليلا ونهاراً وكذلك بقية الوثيقة وما فيها من الآيات والأحاديث والنصوص الأنيقة كلها حجج مقاصة عليه راجعة إليه والأولى فى الكاتب أن يكون بليغا عارفا بالكتابة عاقلا عالما خبيرا بمواقع الكلام ومصادره فببلاغته يحذف مالا طائل تحته وبكتابته يعلم مطابقة الكلام لما يناسبه وبعقله يستحضر مخاطبات الناس وينزلهم منازلهم فى المكاتبات والمخاطبات وبعلمه يورد الأحكام على هيئتها ويوقعها مواقعها لا يحرف منها ولا يميل ولا يبحث بظلفه عن حتفه ولا يقطع ظهر مستكتبه من خلفه وبخبرته بمواقع الكلام لا ينفر بخطابه ولا يستفز بجوابه فهكذا ينبغى أن يكون الكاتب وأما أنتم أيها الجماعة الماسنيون المخلصون المتقون الصالحون فاعلموا أنه لا يصح ولا يمكن بيننا وبينكم إلا أن نكون جميعا كما كنا مسلمين إخوة يشد بعضنا بعضا ممتثلين أمر الله عز وجل فى قوله (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) فكل منا يقاتل من مقابله أو نكون يدا واحدة على أعدائنا وأعداء ربنا وأعداء أبينا لا إله إلا الله وأعداء نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصلح بيننا إلا المحبة والتودد والتعظيم والتبجيل والتوقير والإجلال وأعيذكم بالله أن تضمروا لإخوانكم المسلمين مالا تحبون لأنفسكم وحاشاكم ثم حاشاكم أن تبيعوا آخرتكم بدنيا أنفسكم وأحرى بدنيا غيركم من إخوانكم المسلمين وأحرى أن تبيعو دينكم ودنياكم معا بدنيا كافر مشرك يريد أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ولقد صدق الشاعر .

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ... وللشترى دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أخيب

وإلا فاشهدوا ويشهد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بأنا برءاء من سوى ما ذكرنا مما لا يليق بيننا وبينكم إلا هو لا نسفك إن شاء الله إلا دم مشرك بحول الله وقوته فإن شئتم فاتبعوا ما قال الله ورسوله وإلا فنحن بعون الله لا نزال ممتثلين أوامره فى عامة ما يطرأ علينا وما يسوق ربنا عز وجل، وأما أحمد بن أحمد فإنه حفيدنا وأبوه ابننا وجده صنونا وحبيبنا لا نعتقد منه إلا البرور لنا ونظنه لا يعتقد فينا إلا الرحمة مثل ما بين الأب وابنه وما نظن عليه إلا خيرا إن سلم من المنافقين يحفرون تحته من حيث لا يعلم وما نظنه يقبل نسبة ما فى هذه الوثيقة إليه بل لعلها مفتراة عليه ونحن والله نحبه ونحب من يحبه ولا نقاتل إلا دونه ولا نكون إلا يداً له وندعو له بإتمام نعمة الله عليه وسبوغها وبتمام نهاية الرتبة بالاستقامة وبلوغها والسلام . ومما كتب أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

الحمد لله الذى أمرنا بالإخلاص فى دينه فقال وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ونهى عن النفاق وما يشابهه كل متدين بدينه الحنيفى المتين وحض على اتباع رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى جميع ما به أمر وجعل كتابه الكريم مرجعا وموئلا لما يقدر بين عباده من بر ومن فجر والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا فقال أهل الحديث رواه عن هشام بن عروة ستمائة من العدول وعلى آله وصحبه والتابعين له من أهل حزبه .

أما بعد فمنا إلى أحمد بن أحمد سلام بموجبه إليك إعلامك بأن وثيقتك هذه بلغتنا وظننا أن فيها محل الفصل من المطلوب وموضع الفائدة من المرغوب ؛ فلما تصفحناها فإذا هى كأخواتها الماضية المشحونة بما لا طائل فيه وظهر لنا ما فيها من الميل عن عين المطلوب منك فأردنا أن نبين لك وجه ذلك لتعلم خلوها من الفائدة ولئلا تعود إلى مثل هذا من التلبيس على العامة ويظهر لك بيان حقيقة الأمر

العامة فنقول أما قولك وجوابى أنا هو قول سمعنا وأطعنا على نحو ما أوجب الله علينا امتثالا لأمر الله واستسلاما لحكم الله وانقياداً له من غير حرج فى الباطن ولا عناد فى الظاهر لجوابه أنه قول يصدر من كل مؤمن متق مخلص ومن كل فاجر فاسق منافق يخاف إظهار الإباية إلا أن الله سيظهر ما هو الواقع ويميز الخبيث من الطيب كما قال تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) قال فى السراج المنير فإن قيل لمن الخطاب فى أنتم أجيب بأنه للمصدقين جميعا من أهل النفاق والإخلاص كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وأنه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحى إلى نبيه وإخباره بأحوالكم أو بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها إلا الخلص المخلصون منكم كبذل الأموال والأنفس فى سبيل الله فيختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم انتهى ، أما وجه صدوره من الفاجر الفاسق المنافق فقد قال تعالى (ويقولون ءامنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين) إلى قوله (بل أولئك هم الظالمون) قال فى السراج المنير قوله أطعنا أوجدنا الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم أعظم المخالفة بين القول والفعل بأداة البعد فقال تعالى (ثم يتولى) أى يرتد بارتداد القلب ويعرض عن طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ضلالا منهم عن الحق فريق منهم أى ناس يقصدون الفرقة من هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة من بعد ذلك القول ثم قال ولما فضحهم بما أخفوه من توليهم قبح عليهم ما أظهروه فقال مبتدئا بأداة التحقيق وإذا دعوا ـ الفريق الذين ادعوا الإيمان ـ من أى داع كان إلى الله أى إلى ما نصب الملك الأعظم من أحكامه ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم أى ناس مجبولون على الأذى معرضون أى فاجؤوا الإعراض إذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تحكيم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه انتهى وأما وجه صدوره من البر الصادق فقد قال تعالى (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) قال فى السراج المنير وغيره إذا دعوا من أى كان إلى الله أى إلى ما أنزل من أحكامه ليحكم الرسول بينهم وأطعنا بالإجابة لله ورسوله انتهى فإذا ظهر لك هذا فاعلم أن المعتبر فى كل شخص بر وفاجر فعله لا قوله فى أمثال العرب :

الفعل أوضح من الكلام وفى كلام الأصوليين إذا اختلف القول والفعل اعتبر الفعل فالمدار على الفعل أى سمعنا وأطعنا لا على قولها فقط وأما قولك مع أنا بحمد الله لم ندع إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذ لم ندع إلى الصلح والموافقة من غير محاكمة ولا مشاغبة ظنا منا أن ذلك أنفع وأقرب إلى الوفاق وأنجى وأقطع للشقاق فجوابه أن الصلح والموافقة من غير محاكمة حسن فى غير ما بيننا وطلبك له على هذا الوجه فيه تلبيس فإن الصلح الذى تعنى إنما يكون ويطلب بين الفئتين المسلمتين المقتتلتين عناداً أو تاويلا ونحن إلى الآن ما قاتلنا فئة مسلمة ولا نازعناها وإنما قاتلنا المشركين أعداء الله ورسوله ﷺ سواء كانوا وحدهم أو اختلط بهم وقواهم قوم يدعون الإسلام وعلى تسليم أنا قاتلنا فئة مسلمة وهو تقدير فاسد فإن الصلح حينئذ إنما يكون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بين هاتين الفئتين ففى لباب التأويل عند قوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) أى بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضى بما فيه لهما وعليهما انتهى . وقال فى قوله (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) أى ترجع الى أمر الله أى إلى كتابه الذى جعله حكما بين خلقه انتهى .

فظهر لك أن طلبك للصلح من غير محاكمة إعراض عن المحاكمة إلى الله على كلا التقديرين وعلى كل فمساعدتك عليه هكذا يمنعنا منها خوف التشبه بالمنافقين الذين يطلبون الصلح دون حقيقة الحكم ميلا عنه كما وصفهم مولانا بقوله (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا . فكيف إذا أصابتهم مصيبة ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا) قال فى لباب التأويل وإذا قيل لهم يعنى المنافقين تعالوا الى ما أنزل الله أى هلموا الى حكم الله الذى أنزله فى كتابه ، والى الرسول ليحكم بينهم رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا يعنى يعرضون عنك وعن حكمك إعراضا فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا أصابتهم مصيبة يعجزون عنها بما قدمت أيديهم يعنى تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمته أيديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءوك يعنى المنافقين ويعتذرون اليك يحلفون بالله إن أردنا أى ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا إحسانا يعنى فى التحاكم إلى غيرك لا الإساءة بل توفيقا بين الخصمين لا مخالفة لك فى حكمك انتهى . وفى السراج المنير وضياء

التأويل والذهب الأبريز مثله وقالوا فى قوله (إلا إحسانا) أى صلحا وتوفيقا أى تأليفا بين الخصمين بالتقريب فى الحكم دون الحمل على مر الحق انتهى . فإذا علمت هذا ظهر لك أن الصلح المذكور ابتداء ليس على أصله وعلى أنه على أصله بين الفئتين فهو فاسد فإنما يكون بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضى بما فيه لها وعليهما وأن طلبه دون هذا نفاق وإعراض عن حقيقة الحق الصريح فمن دعى إليه وأعرض عن التحاكم إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فما رضى لنفسه إلا بأن يكون منافقا وأما قولك فمطلبى ومطلبك لم يخرج واحد منهما عن كتاب الله ولا عن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد وله المنة لجوابه أنهما والله مختلفان غاية الاختلاف أولا وآخرا ما مطلبك فى الله ما هو إلا بقاء الكفر إلى ما هو عليه وإعانة أهله وتقويتهم وطلب توهين الإسلام وضعف أهله وإماتة السنة وإخمادها وإقامة سلطنة الكفر على ما هى عليه وهذا إن كان موجودا فى كتاب الله والسنة فهو كفر صريح ومما يدلك على ذلك إمساكك لمن وقع قتالك إيانا لأجل محبتهم وعدم امتثالك أمر الله عز وجل فيهم فدعواك لطلب الصلح مع إمساكك لمن كان انتشاء قتالك إيانا من أول الأمر إلى الآن واقعا بسببه هى أقوى الدواعى إلى الفتنة ما زالت موجودة فى قلبك فطلبك له كذب محض لا تصدق فيه مع بقاء وجود الواقع بينك وبينهم على ما هو عليه فإذا علمت هذا ظهر لك بعد مطلوبك عما ادعيت وأما مطلوبنا نحن قدعه عنك نحن نعلمه والله يعلمه والمسلمون يعلمونه وما هو والله إلا خلاف مطلوبك من جهاد أعداء الله وقتلهم وكسر أصنامهم والاجتهاد فى ذهاب دول المشركين سبحان الله ما أبعد ما بين المطلوبين وأما قولك وها أنا إلى الآن أعيد عليك ثانيا بمطلبى أولا وإرادك عنه وأكروه لديك وقولك وبالجملة فإنى أعيد عليك ثالثا ما طلبت أولا من المتاركة والمصالحة لجوابه أن مطلبك المعاد أولا وثانيا وثالثا بعيد من المتاركة والمصالحة وما أبعد ما بين مطلبى منك من مطلبك منى فمطلبك هذا منى كررته علىَّ لفظا ثلاثا فى هذه الوثيقة وقد طلبت مطالب قبله وكلما طلبت واحدا طالبتك بمطلوب يخالفه يكون أقرب إلى وجه الصلاح والخير فتأبى فأول مطلبى منك أن كتبت إليك لما فتح الله لنا من أرض كرت إلى دنقراوى وثيقة فيها ما نصه أدعوكم إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإلى جهاد فى سبيله فقط وأول مطلبك منى أن وجهت

إلينا أيامئذ جيوشا تشق الكفر قصراً قصراً وأرضا مواخية مصادقة لكل من مرت به من المشركين علينا حتى أوقع الله ما أوقع فى كسكير فأعرضنا عنك وانصرفنا مغربين ثم أرسلت إلينا بعد ذلك ونحن سابسرى وثيقة تستفهم فيها عما دعوناك إليه مع وضوحه والتصريح به حتى قلت ما تدعوننا إليه يا عمراً إلى كذا وكذا مع التصريح بأنا ما دعوناكم إلا إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهاد فى سبيله وهو مطلوبنا منك أيامئذ والآن لاغيرو مطلبى الثانى منك ما كتبته فى الجواب لوثيقتك التى قدم بها صديق مع إعراضنا عما فيها من السب واللعن بقولى ولا تتولى ان شاء الله بفضله كافرا ونجاوزه ونقاتل مسلما فأحرى أن نطلب أن نكون مع المشركين جيشا واحدا ونجاوزهم ونكون مع المشركين أيضا جيشا واحدا ونقاتل المسلمين نعوذ بالله من أن نعين راية الملك على راية الشريعة والسنة فأحرى أن نعين راية الشرك على راية الإسلام واذا فهمتم هذا فاعلموا أننا لم يكن بيننا وبينكم وبين كل مؤمن الا الخير والعافية وليس فى قلوبنا شر لكل مسلم ولا ارادته له انتهى المراد من كلامنا .

ومطلبك الثانى منى طلبك منى متاركة المشركين على ماهم عليه من شركهم وعبادة أصنامهم والا فلا يكون بينى وبينك الا القتال بوثيقتك التى أرسلت أولا فى سنسند بعد ما آخيت المشركين علينا وتحكمت معيتك معهم علينا ومطلبى الثالث منك جوابى لهذه الوثيقة المذكورة بقولى وأما أنتم أيها الجماعة المؤمنون المخصون المتقون الصالحون فاعلموا أنه لا يصلح ولا يمكن بيننا الا المودة والتعظيم والتبجيل والتوقير ولا يصح بيننا وبينكم الا أن نكون جميعا يدا واحدة على أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأعدائنا من المشركين أو نكون اخوة يشد بعضنا بعضا فكل منا يقاتل من مقابله أعداء الله وأما أحمد بن أحمد فإنه حفيدنا وأبوه ابننا وجده صنونا فلا يتصور بيننا وبينه الا ما يتصور بين ابن الابن وبين جده من الرأفة والرحمة والرقة الى آخر كلامنا ومطلبك الثالث منى تجهيزك الجيوش الينا ومساعدة المشركين علينا وقتالك ايانا واعانتك وحمايتك ونصرتك لعلى بن منز واختلاط جيوشك بجيوشه حتى وقع بيننا وبين الكفار ما وقع فأعرضنا عن مطلوبك هذا ومطلبى الرابع منك المتاركة فقط فرجعنا من سنسند مغربين وتركناك وجيوشك الى ناحيتك ولم نوجه اليها منذ أقامنا الله

لجهاد أعداء الله المشركين إلى الآن جيشا ولا سرية ولا أحدا ومطلبك الرابع منى نهوضك إلينا واختلاط جيوشك بجيوش المشركين وتحزبكم علينا فى سغ سيكو فى رمضان الماضى حتى وقع ما وقع ومطلبى الخامس منك المحاكمة إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ليحكم بيننا ومطلبك الخامس منى أن أميل وأعرض عن الحق فأقبل لنفسى أن أكون منافقا سبحان الله ما أبعد ما بين مطالبى منك من مطالبك منى فتأمل فى ذلك يظهر لك ولكل مؤمن بالله عز وجل ، أن مطالبى منك كلها إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وإلى حكمهما والموافقة والمتاركة والصلح ولكن ما وقع لى مطلوبى منك من الترك والصلح وما وقع لك مطلوبك منى والحمد لله من المنازعة والمقاتلة وأما مطالبك فإنك أدرى بها وأما قولك فإنى لا أحب بينى وبين كل مسلم إلا الخير والصلاح فقط فأحرى أنتم معشر الفوتيين أحبتنا فى الله من قديم الزمان لجوابه أن سبق بيننا وبينك من جيشتك فقط يخالف دعواك هذه ويكذبها فما أحببت أن يكون بيننا إلا الحرب والقتال فأعرضنا عن طلبك ذلك منا من أول الأمر إلى آخره وقولك أحبتنا فى الله الخ كذب محض منك فأين ادعاؤك أننا أحباء لك من قولك فى وثيقتك التى قدمت بيد رسولك صديق بإهمال قوم ظلمة فسقة فجرة بلا ردع ولا زجر هذا والله العجب وأما قولك فأليق بنا وبكم جميعا الندم على ما مر والاستعاذة بالله من أن يجرى بيننا وبينكم مثل ذلك أجارنا الله منه آمين ، لجوابه أن الندم فى حقك عما فات منك والاستعاذة من فعله فى حقك جار مجراه وهو أليق بك واوجب عليك أنت خاصة وأما نحن فإننا والله ما نندم على ما وضعنا فيه من جهاد أعداء الله من المشركين الخلص فكيف ولا توجهنا إلا إليهم خاصة وإن قتل من اختلط بهم وأعانهم وقواهم وحماهم على ما هم عليه من كفرهم فلا نستعيذ من قتاله ولا من قتله لأنه منهم بشهادة نص القرآن ولا نندم عليه لكن نسئل الله تعالى بجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يديم لنا ذلك وأن يفنى أعمارنا فى ذلك حتى يميتنا فيه فإنه قدير على ذلك ، وأما قولك وإن أبيت إلا المحاكمة فالسمع والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فبين لى ما أدعيت ومن القاضى بينى وبينك وبين لى كيفية الحكم على وجه لا يتعذر إلى آخره لجوابه أن المحاكمة أمر لا بد منه ولا محيد عنه لوجوبه على جميع المسلمين . وأما تبيينى لك ما ادعيت فطلبك له عجلة والعجلة مزلة ولا أطالب به

بل لا يطالب مدع تبيين دعواه إلا بين يدى القاضى وطلبه ذلك منه قبل مجلس القضاء حماقة وتبيينه قبله حماقة أكبر من الأولى وقولك من القاضى بينى وبينك فالقاضى بيننا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه المنزل عليه القرآن فكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما القاضى فى الحقيقة وإنما القاضى أين كان حاك لحكم الله عز وجل الثابت فى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعلماء والحمد لله موجودون والكتب موجودة ولاشك فى أن ما بيننا مسطور فيهما فإذا أظهر لك أن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هما القاضى فاعلم أن الرجوع إليهما واجب على كل مؤمن بالله واليوم الآخر فى كل شىء تنازعوا فيه وأن كل من لم يعتقد ذلك كافر وأن كل من صد عن الإجابة راغبا عن التحاكم معتقدا بأن الحكم فى العدل الذى هو السواء بأمر من وجب عليه حق بأدائه له إلى من هوله غير صواب وأن العدول عنه إلى غيره أولى وأحسن وأصوب فهو كافر. وأن ادعاء أنه مؤمن كذب محض قال تعالى (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية قال فى اللباب تنازعتم اختلفتم فى شىء من أمر دينكم فردوه أى ردوا ذلك الأمر الذى تنازعتم فيه إلى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته ردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجب فإن وجد ذلك الحكم فى كتاب أخذ به ، فإن لم يوجد فيه فسبيله الاجتهاد ، وفى السراج المنير وغيره نحوه وقال (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية وقولك و بين لى كيفية الحكم الخ جوابه أنى بينته فى الوثيقة أتم تبيين بقولى أما مجيئه الينا مع جنده وقضاته ءامنا ثابت النفس مطمئنها طالبا لحكم الله فقط وأما مجيئنا اليه مع جندنا وقضاتنا الخ وهذا الوجه غير متعذر فإن كنت تتهم نفسك أو جيشك على إثارة الفتن وعدم الرضى بالحكم فإنا والله لا نتهم أنفسنا ولا قومنا فى ذلك وسواء عندنا أتيت إلينا أم أتينا إليك لأنا والحمد لله عبيد الشرع ما غدرنا كافرا وأحرى مسلما ولا قاتلنا مسلما ولا خادعناه ولا وقع ولا يقع بيننا شىء إلا ما كان من الأمور الشرعية وقولك فإن التقاء الجيش وكلاهما خصم للآخر لا يفيد الا إقرارك على نفسك وعلى قومك بأنكم خصماء المسلمين وأما نحن فإنا لسنا خصماء الا لك أنت خاصة ولسنا خصماء لأحد

من المسلمين هذا وإقرارك على قومك بأنهم خصماء لنا لا يردنا عن أن تتخذ منهم قاضيا بيننا إذا أراد الله ذلك ، وأما قومنا فليسوا أعداء ولا خصماء لمسلم أيا كان وما ذكرت من أن حكمة القضاء التهارج والتفاتن والتقاتل الخ .

فكلام حق وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أرفع لذلك ولما ذكرت ، وأما قولك مع أنا بحمد الله لنا سلف فى مثل ذلك يليق بنا أن لا نتعداهم قولا ولا فعلا لجوابه أنك إن كنت تعنى سلفا من المسلمين خالط جيوشه بجيوش المشركين وحماهم ونصرهم على المسلمين وقواهم وكان ظهيرا لهم على ربه وعلى المؤمنين لتكون كلمة الكفر هى العليا وكلمة الله هى السفلى ، ثم قام بعد ذلك عندما غلب الله مشركيه وأزال دولتهم يطلب الصلح بينه وبين أعداء المشركين من المسلمين الذين قاتلهم مع الكفار فبينه لنا وهو سلف لك خاصة لا لأحد غيرك وذلك سلف لا يجب علينا إلا أن نتعداه قولا وفعلا هذا على تقدير وجوده وهو محال مع أن هذا أيضا يكذبه قولك فى صفة هذا السلف الذى ذكرت فإن فى اتباع السلف الصالح الهداة وسيلة إلى الأمان من الضلال إلى آخره ، وإن كنت تعنى سلفا آخر فإنا لا ندرى ذلك السلف وأما السلف الصالح فحاشاهم وحاشاهم وإياك أن تعتقد أو تظن أو تشك أو تتوهم أن مثل الواقع بيننا هو الواقع بين الصحابة رضوان الله عليهم بعد قتل عثمان رضى الله عنه فإن ذلك كفر صريح فالواقع بيننا الذى طلبت الصلح فيه هو إعانتك للمشركين علينا واختلاط جيوشك بجيوشهم وحمايتهم على كفرهم وشركهم والرضى لهم بما هم عليه من عبادة أصنامهم والذبح لآلهتهم ومعيتك معهم ونصرتك لهم ليس غير ، وطلب الصلح على هذا الحال من محال المحال والواقع بين الصحابة رضوان الله عليهم الخلاف والقتال فى إظهار دين الله خاصة فإن سيدتنا عائشة رضى الله عنها والزبير ومعاوية رضى الله عنهم إنما قاموا للطلب بدم عثمان وتحزبت معهم طائفة من المسلمين الخلص على ذلك وسيدنا على كرم الله وجهه ورضى عنه وأصحابه إنما قاموا وقاتلوا لأجل إقامة الدين بنصب إمام واتفاق الكلمة لأنهم علموا أن مطلوب إخوانهم من الصحابة لا يتم شرعا إلا بعد اتفاق كلمة المسلمين على إمام واحد فأخطأ معاوية من وجه وأصاب على من وجهين فاقتتلوا لهذين المقصدين الشرعيين كيف وقد شهد لهم جميعا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، على أن القاتل والمقتول كلهم فى الجنة

إلا قاتل الزبير فهذا وجه القتال بين الصحابة ووجه صلحهم بعده فانظره فى كتب السير والتفسير فلا شك أننا نحن ما قاتلنا منذ أقامنا الله لجهاد المشركين إلى الآن إلا المشركين الخلص وأما غير المشركين فما قاتلناه أصلا ورأسا ولا طلبنا مقاتلته ولا نطلب ثم إن كنا قتلنا من يدعى الإسلام أو قاتلنا من خالط المشركين وقتل بين أظهرهم معينا لهم ناصرا مقويا لهم فإن قتل ذلك لم نرده ولم نقصده ولكنه قتل فى غابة الشرك وجيش الكفر وأرض الكفر وهو غير مسلم قطعا فما أبعد ما كان بيننا وبينك من أفعال السلف الصالح من جيشك فقط حتى تموه عليه بطلب الصلح واحذر أن تفك أن طلبك هذا الصلح جار على وجهه الشرعى حتى تتخيل امتثال قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) الآية فإنه ما وقع بيننا وبين طائفة من المسلمين قتال وإنما كان قتال المشركين خاصة هم ومن حماهم وخالطهم وقواهم وقتالنا للكل جهاد أمر الله به ورسوله صلى الله عليه تعالى وسلم وإن كان ولابد من تخييل إيراد آية من القرآن فيما بيننا فالواجب والمتعين أن يكون قوله (قد كان لكم ءاية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة) فهذا هو الواقع من أول الأمر إلى الآن والحمد لله ، وأما قولك فاعلم أننا لم نكن نظن بك أنك تحجر علينا ما لم يحجر كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن الوكالة فى قابل النيابة جائزة فى الشرع فجوابه أنه كلام صدر عن جهل مركب فإن للخصم أن لا يقبل وكالة غير خصمه فى عدة وجوه من الشرع أكبرها العداوة ففى مختصر الشيخ خليل رحمه الله تعالى مسبوكا بكلام شارحه الدردير وجاز توكيل واحد لا أكثر إلا برضى الخصم فى خصومة وإن كره خصمه إلا العداوة كما سيأتى له انتهى . وقال فى محل آخر فيما يمنع التوكيل وعدو على عدوه قال الدردير مسلما أو كافرا إلا أن يرضى به الموكل عليه ولو عداوة دينية كيهودى على نصرانى وعكسه انتهى . وفى حاشية الدسوقى على شرح الدردير إلا العداوة أى بين الوكيل والخصم قال أبو يونس وفى المدونة قال ابن القاسم وللحاضر أن يوكل من يطلب شفعته أو يخاصم عند خصمه وإن لم يرض بذلك الخصم إلا أن يوكل عدواً له فلا يجوز ثم قال الدسوقى أيضا فى قوله وعدو على عدوه أى ومنع توكيل عدو على مخاصمة عدوه المسلم أو الكافر ولو عداوة دينية أى ولو كانت العداوة التى بينهما دينية أى بسبب اختلاف الدين قال البنانى

الحق تقييد العداوة هنا بالدنيوية انتهى . ومثل ما نقله الدسوقى عن المدونة منقول عنها فى حاشية البنانى زاد ونص الأمهات قلت أرأيت إن وكلت وكيلا فى خصومتى وأنا حاضر فقال خصمى لا أرضاه قال ذلك جائز عند مالك . له أن يوكل وإن لم يرض خصمه إلا أن يكون الذى يوكل إنما يوكل أيضا هذا الخصم لعداوة بينهما قال مالك فلا يجوز ذلك انتهى . وفى حاشية العدوى على القرشى فى قوله وواحد فى خصومة وان كره خصمه أى لا لعداوة انتهى . وفى مجموع الأمير ومنع وكالة كافر وجاهل بما يفسدانه وعدو دنيا انتهى . فإذا علمت أن العدو لا تقبل وكالته ظهر لك أن إطلاقك الوكالة فى قابل النيابة الخ غير مطابق بل كلام رمى به جزافا نشأ عن جهل وعن جهل بجهل .

ومن عجب الأشياء أنك لا تدرى   وأنك لا تدرى بأنك لا تدرى

* * *

وإن ألقاك فهمك فى مهاو   فليتك ثم ليتك ما فهمتا

وأما قولك وإلا فأشهد الله واشهدوا يا جماعة المسلمين هنا وهناك أنى براء مما حدث بعد دماء المسلمين الخ . فجوابه أن إشهادك بلسانك لا ينفع شيئا وأفعالك مخالفة لما أشهدت عليه ومن أكبرها إمساكك لطاغية المشركين وإخوانه وأعوانه هلا أسلمتهم .

قد تم بحمد الله وصلى الله على رسول الله وعلى آله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على من لا نبي بعده اللهم صل على النبي الحبيب

القسم الثانى

***

رد الحاج عمر بن سعيد الفوتى على مجموع رسائل الأمير أحمد أحمد وبيان ما فيها من الدعاوى الفاسدة .

كتب به إلينا العلامة الفاضل الشيخ سعيد نورو تال حفيد سيدى الحاج عمر الفوتى رضي الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

اللهم أرنا الحق حقاً وألهمنا صوابه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، اللهم إنا نعتصم بحولك وقوتك من شرور أنفسنا وشرور خلقك ، ومن أن نضل أو نضل أو نزل أو نزل ، اللهم لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك اللهم صل على صفيك من خلقك سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما دائما إلى يوم الدين ، وعلى تابعيه من جميع أمته أجمعين .

وأما بعد ، فهذا بيان ماوقع بيننا وبين أمير ماسنَ أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد بن محمد لبّ(1) ، وتفصيله ، وتحقيقه ، وتذييله ، بيناه ليراه من لم تبلغه حقيقة الخبر وليتبصر فيه من غاب ومن حضر ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ، وما راء كمن سمع ولا صعب كمن طبع .

ونزلنا الكلام فيه على مقدمة ومقامات : أما المقدمة فنى بيان ابتداء ماوقع بيننا وبينه أولا وآخرا حتى شرعنا فى هذا المجموع الآن وبها يتضح ما سيأتى بعدها .

أما المقام الأول فنى رد ما أرسل به إلينا من وثائقه الباطلة وحججه العاطلة .

وأما المقام الثانى فنى بيان حقيقته هو وبيان السبب الذى أوقعه فى حربنا حتى جره إلى تجهيز الجيوش إلينا وإباحة أموالنا وأعراضنا ودمائنا واستحلاله ذلك ، وبيان ما ورد فيما هنالك فنقول وبالله تعالى التوفيق وهو الهادى بمنه إلى سواء الطريق .

---

(1) لب بضم اللام وضم الباء المشددة .

مقدمة

اعلم أيها الناظر المنصف رحمك الله أن ابتداء ماوقع بيننا وبين أحمد بن أحمد هذا كان منشؤه أنا لما أعاننا الله بفضله على جهاد المشركين وأقامنا فضلا منه ونعمة لهدم دول المتكبرين من المجرمين وفتح لنا من تمبا(١) إلى قفد(٢) وإلى سلوج(٣) وإلى كنجا(٤) وإلى برنب(٥) وإلى سرمن(٦) وإلى فرَبَنّ(٧) وإلى كرت(٨) وإلى ليوان(٩) وإلى مدين(١٠) وإلى النور(١١) وإلى كلمن(١٢) وبلادها

---

(١) تمبا بفتح التاء وسكون الميم وباء مفتوحة بعدها ألف اسم قرية من قرى السودان الغربي .

(٢) قفد بقاف معقودة مضمومة وفاء مسكونة ودال مهملة عالة اسم قرية من قرى السودان الغربي .

(٣) سلوج بسين مهملة مضمومة ولام مضمومة وجيم مكسورة قرية من قرى التكارير .

(٤) كنجا بكاف مفتوحة ونون مسكونة وجيم مفتوحة بعدها ألف اسم قرية

(٥) برنب بفتح الباء وضم الراء وسكون النون بعدها باء مفتوحة اسم قرية

(٦) سرمن بإمالة السين وكسر الراء وفتح الميم والنون بعدها مشدودة اسم قرية

(٧) فربن بفتحات مع تشديد النون اسم قرية .

(٨) كرت بفتح الكاف وسكون الراء وفتح التاء اسم قرية .

(٩) ليوان بفتح اللام وسكون التحتية وفتح الواو وبعدها الألف والنون اسم قرية .

(١٠) مدين اسم قرية من قبيلة سرلا ، أصلهم من سِرّ بنت دنبا .

(١١) النور بضم النون الممدودة بالواو بعدها راء اسم قرية من قرى سخ وأما اليور بياء معقودة مضمومة وواو ساكنة بعدها راء فهي التي سماها الشيخ عمر الفوتي بالنور تفاؤلا اسم قرية .

(١٢) كلمن بضم الكاف واللام وكسر الميم بعدها نون مفتوحة اسم قرية.

وإلى لقمن(١) وإلى يلمان (٢) وإلى كريك(٣) وإلى ساكول(٤) وإلى كرت السوداء(٥)، ثم أقامنا الله فى النور ما شاء كتبنا وثائق نبشر فيها جميع من نعلم من المسلمين بجميع ما أوقع الله فى أعدائهم من المشركين وأمرت واحدة إلى فوت(٦) وواحدة إلى ماسن(٧) وأخرى إلى البيضان لتبشيرهم فقط فما راعنا إلا جيش أحمد بن أحمد هذا عليه أميره عبد الله بن أبى بكر بن همصالح فقدم مغربا حتى نزل فى دكن وكل(٨) فعسكر هنالك فانضم إليه الحاج على وأهل كل(٩) دون غيرهم من الكفار واتفق أهل باغن(١٠) على محاربتهم وما زالوا هنالك لا شىء لهم ولا لأميرهم وزوجه إلينا رسله وبأيديهم وثيقة ونحن يومئذ فى النور وبعض جيوشنا إذ ذاك فى بلاد باغن فكتب إليهم الفاهم عمر وهو الذى كان فى باغن يأمرهم بإرسال رسول منهم إليه وأنه لا شىء يتصور بيننا وبينهم إلا الخير والعافية، فوجهوا إليه أحمد بن سعيد ومعه رجال فأكرمهم وبجلهم وأوصلهم إلينا فى النور فأنزلناهم وبجلناهم وأعطيناهم الجوارى وغيرذلك فخرجوا من عندنا على الرحب والسعة فلما مروا بجاور(١١) شرعوا فى غدرنا، فكالموهم وواعدوهم حتى اتفقوا على غدرنا وقتالنا ولما كان أحمد بن سعيد هذا فى بعض الطرق سمع أن الله تعالى أفسد كفن(١٢) فغاظه ذلك أشد الغيظ. وحزن حزناً شديداً حتى

---

(١) لقمن بفتحات اللام والقاف والميم والنون المشددة اسم قرية.

(٢) يلمان بإمالة الياء وكسر اللام وفتح الميم بعد الألف والنون اسم قرية.

(٣) كريك بفتح الكاف وإمالة الراء بعدها كاف مفتوحة اسم قرية.

(٤) ساكول بفتح السين المهملة الممدودة بالألف وكاف مضمومة ممدودة بالواو وبعدها لام مكسورة اسم قرية.

(٥) كرت السوداء.

(٦) فوت بفاء مضمومة وواو ساكنة بعدها تاء اسم بلد صاحب الكتاب.

(٧) ماسن بكسر السين وفتح النون سلطانها أحمد بن أحمد وأصله من الفلان.

(٨) دكن وكل اسما موضع.

(٩) كل بضم الكاف وتخفيف اللام المكسورة اسم رجل.

(١٠) باغن بفتح الباء الممدودة وضم الغين المعجمة بعدها النون المفتوحة اسم بلاد.

(١١) جاور بفتح الجيم الممدودة والواو والراء بعدها مفتوحتان اسم بلاد.

(١٢) كفن بإمالة الكاف وكسر الفاء وسكون النون اسم قرية.

نزل على قومه حيث كانوا فوجد كفار باغن من بنابر(١) قد خافوا ووقع فيهم من فساد كفن ما وقع فشرعوا يومئذ فى مواخاتهم وضمهم إليهم فصار الجميع حزباً واحداً ومعهم الكفار من البيضان ثم إن الله هدم صفنطار(٢) فازداد الكفار وأعوانهم حزناً ففروا جيماً حتى خرج كثير من باغن إلى أطراف سغ(٣) بعد أن أرسلوا إلى الفاهم عمر أن الكفار قد تابوا إلى الله ودخلوا تحت بيعة أحمد بن أحمد وهو كذب محض ثم إنه وصلت إلينا وثيقته من غير علمه بأنها وصلتنا بعد ما أخذ كفار باغن رسله وكتفوهم وشدوهم بالحديد لأنه يزعم أن الأرض أرضه وأن أهل باغن فى بيعته والله يعلم أن باغن يومئذ على ثلاثة أقسام : قسم كفار يعبدون الأصنام والآلهة من دون الله وهم الأكثر ، وقسم محاربون منافقون مستحلون المحرمات ، خلطوا أعمال الكفر ببعض أعمال الإسلام وهم كثير أيضاً ، وقسم مسلمون وهم أقل القليل تحت هذين القسمين ، ويزعم أننا إن لم نرجع عن جهاد هؤلاء الكفار فليس بيننا وبينه إلا الحرب وأفحش فى القول والزعم حتى زعم أن أرض كرت له أيضاً وأنها تحت بيعته بمجرد التسبب والتعصب فأعرضنا عن فحشه وظهرت لنا مخايل غشه واشتغلنا بما كنا فيه ، ولما وقع هذا ورجع كثير من أهل ماسن إلى أحمد بن أحمد قام أيام إذ على ساق جده حتى صادق المشركين من أهل سغ وعاقب من رجع إليه من جيشه الأول ، فوجه إلينا جيشاً ثانياً عليه الشيخ سعيد فما زال يشق الكفر قصراً قصراً حتى وصل «إلى قنبن» (٤) ووجد إخوانه تحزبوا مع المشركين حزباً واحداً علينا فعسكر هنالك ثم أراد الله خراب جاوَرَ فسلطهم علينا أولا ثم سلطنا وأعاننا الله عليهم آخراً فهزمهم لنا

---

(١) بنابر بفتح الباء والنون الممدودة وبعدها الباء المكسورة والراء المفتوحة اسم جنس من السودان الغربى .

(٢) صفنطار بفتح الصاد والفاء وسكون النون وفتح الطاء الممدودة بعدها راء مفتوحة اسم قرية .

(٣) سغ بسين مهملة عالة وغين معجمة مضمومة معقودة اسم مركز من مراكز السودان (جمهورية مالى حاليا) .

(٤) قنبن : بكسر قاف معقودة ونون مسكونة وفتح الباء والنون المشددة اسم قرية

واشتغلنا بجهادهم وجيش أحمد بن أحمد هذا مقيم فى قنين بين أظهر المشركين هو وهم يد واحدة علينا متحزبون وعلى قومنا متمالئون ، أى قومنا الذين فى باغن ، ثم إنه عز وجل وجهنا فى آثار الكفار من جاور حتى وصلنا مدينة الكفر الصميم والشرك العظيم بساق(١) فهدمها لنا فأفقنا فيها ماشاء الله وجيش أحمد بن أحمد مقيم فى محله مدة الشتاء والربيع والصيف والخريف ، ثم لما طال الأمر عليه وانضاف إليه من تشتيت الكفار ما انضم إليه زحف إلينا مغربا ، فما زال يرحل إلينا صائلا يوما بعد يوم وفى نيته ما الله أعلم به حتى أغار على ألصو(٢) وقتل مسلميها هنالك ، ولما نزل بدبوس(٣) وجهنا إليه رسلا بأنه ليس بيننا وبينهم إلا الخير ولا بد من المكالمة بيننا وبينهم ونحن يومئذ فى سنفغ(٤) فما أجابوا الرسل بشىء ، ثم أصبحوا مرتحلين مغربين فرجع إلينا الرسول بعد ارتحالهم بلا شىء ، فما زال جيشهم صائلا إلينا حتى نزل كسكير(٥) فوقع بيننا وبينه ما وقع ، فرده الله بفضله عن حريمنا وأظفرنا بأسارى منهم وجرحى فسرحنا الجميع ولا يخفى على أحد منهم وجه قتالنا هذا الجيش المعد لنا مدة سبعة أشهر الموجه إلينا من مسيرة ثلاثين يوما أو أربعين الصائل علينا فلينظر المنصف عند قول الشيخ خليل فى مختصره كزاحفة على دافعة ، ثم توجهنا بعد ذلك إلى جنقنى(٦) فهدمها الله لنا فضلا منه ونعمة ، ثم انصرفنا مغربين ، فما زلنا نقتص آثار الكفر حتى

---

(١) بساق بفتح الباء والسين المهملة الممدودة بعدها القاف المفتوحة اسم قرية

(٢) ألصو بفتح الهزة واللام مع ضم الصاد المهملة الممدودة قرية باسم رجل .

(٣) بدبوس بكسر الباء وإمالة الدال المهملة وضم الباء المشددة الممدودة مع سكون السين المهملة اسم موضع .

(٤) سنفغ بفتح السين المهملة وسكون النون مع الفاء والغين المعجمة اسم قرية

(٥) كسكير بفتح الكاف والسين المهملة وإمالة الكاف الثانية وبعدها راء مكسورة اسم قرية .

(٦) جنقنى بجيم مفتوحة ونون ساكنة وقاف مضمومة معقودة ونون ساكنة بعدها تاء ممالة اسم قرية .

وصلنا إلى مدينة سابسرى(١) فأقمنا هناك فى مكابدة النصارى ومشركيهم ومحاربتهم فما راعنا إلا وثيقة أحمد بن أحمد. هذا بأيدى رسله، فنظرناها فإذا هى كالوثيقة الأولى فى منوالها مع كثرة ما فيها من السب واللعن والشتم والإذاية والتهديد والوعيد فأعرضنا عنها وكتبنا إليه جوابا يليق أن يصدر منا، ولفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل لنا سعة فى قتال أعدائه الكافرين عن قتال أوليائه المؤمنين وعلمنا أنا ما كلفنا ولا نكمل قتال الكافرين المجرمين فأغنانا بذلك عن قتال عباده المؤمنين .

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادى إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

إلى كافتكم الرعاة والرعية تحيـــة منا وسلام وإكرام يشيعهما دعاء ورضى واحترام .

أما بعد فباعث الرسم إليكم يعلمكم بأن رسلكم جاءونا ونحن فى قتال أعداء الله من أهل الكتاب وغيرهم، ومشتغلون بذلك ورمنا منهم الصبر والتصبر حتى نجد وقتاً ومكاناً يتسع لنا فيهما الكلام معهم ونتفرغ فيهما لإرسال رسل معهم إليكم فلم يساعدونا فى ذلك لضيق صدورهم عن ذلك ولما كان الأمر هكذا أردنا أن نقتصر بالإيجاز عن الإطناب ونقول : اعلموا يا إخواننا أننا إن شاء الله لممتثلون بما أمر الله به رسوله فى قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وبقوله تعالى (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً) ، وكائنون كما قال مولانا : (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولايخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) وكما قال تعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) الآية ولانتولى إن شاء الله بفضله كافراً ، ونجاوزه ونقاتل مسلما فأحرى أن نطالب أن نكون مع المشركين جيشا واحداً ونقاتل المسلمين .

---

(١) سابسرى بسين مهملة مفتوحة ممدودة مع كسر السين الثانية وبعدها راء ممالة اسم قرية .

نعوذ بالله من أن نعين راية الملك على راية الشريعة والسنة فأحرى أن نعين راية الشرك على راية الإسلام لأنا لا ولى لنا إلا الذين عدهم مولانا وعينهم لنا فقال (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) ولا نكون إن شاء الله ولا نقول إلا كما كان وقال العبد الصالح نبى الله ورسوله شعيب عليه السلام كما حكى الله عنه بقوله : (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) وإذا فهمتم هذا فاعلموا أننا لم يكن بيننا وبينكم وبين كل مؤمن إلا الخير والعافية وليس فى قلوبنا شر لكل مسلم ولا إرادته له (إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين). والسلام معاد عليكم كما بدأنا به أول مرة انتهى الجواب فانظر أيها المنصف رحمك الله هل تشم من هذا الكتاب رائحة المماراة فى السفه والجدال أو توجد فيه داعية القتال ثم إنا رجعنا إلى المغرب ومكثنا مامكثنا ورجعنا إلى النور ثم شرعنا فى جهاد المشركين من أهل سغ وأحمد بن أحمد هذا منذ رجع إليه جيش كسكير منهزما فى كل أوان وزمن لا يشتغل إلا فى تجهيز الجيوش إلينا وتحزب الجنود علينا إلى رمضان الماضى فمرة ذهب بنفسه ومرة وجه جنوده فحينئذ خرج بجنوده حتى نزل بين سنسند وجامن إلينا فرده وردها الله بمالا يعلم إلا هو سبحانه وتعالى فما زلنا نقتص آثار المشركين فهدم الله لنا مركى(١) ودنف(٢) وجيش قن(٣) إلى أن وصلنا جامن(٤) وشرع من يومئذ فى مصادقة المشركين وموالاتهم والمعية معهم حتى أعطوه من أموالهم ما قدر الله له أيامئذ من الحرام ، فرجع وهم أصدقاؤه وأحباؤه وأولياؤه مع أن هؤلاء المشركين مات جده الشيخ أحمد فى محاربتهم من مشرقهم ومات أبوه أحمد بن الشيخ فيها أيضا ومكث هو بنفسه ثمانية أعوام فيها

---

(١) مركى بميم مفتوحة وراء مكسورة وكاف مضمومة وياء مفتوحة أيضا اسم قرية .

(٢) دنف بدال مفتوحة ونون ساكنة وفاء مفتوحة .

(٣) قن بقاف معقودة مفتوحة ونون مبنى على الضم .

(٤) جامن بجيم معقودة ممالة بعدها ألف وميم مكسورة ونون مفتوحة اسم قرية

وجميع هذه المدة نحو خمس وأربعين سنة ماهموا له ولا لأبيه ولجده بتوبة ولا اهتموا إليهم بأوبة ثم إن الله بفضله هدم لنا جيوش المشركين المتحصنين فى جابل(١) وويتال(٢) ثم سرنا حتى نزلنا سنسند(٣) فى آخر يوم الربيع الأول من سنة جاء نصر من الله وفتح قريب فما راعنا إلا رسله ، ووثيقته بأيديهم يجادل فيها عن المشركين وينتقص من أعراض المسلمين بعد ما أعطاه على بن منزُ(٤) ألف مثقال وتحكمت معيته معه علينا فوجهنا رسلا منا إليه مع رسله بوثيقة فيها تفصيل ردما فى وثيقته من الكذب ومحصل ما فيها مالا تعلق له بالرد ماختمنا به وثيقتنا ولفظه . وأما أنتم أيها الجماعة المؤمنون المخلصون فاعلموا أنه لايصح ولا يمكن بيننا وبينكم إلا أن نكون جميعا كما كنا من قبل مسلمين إخوة يشد بعضنا بعضا ممتثلين أمره عز وجل فى قوله (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وفى قوله (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) الآية . فكل منا يقاتل من مقابله أو نكون يدا واحدة على أعداء الله وأعدائنا وأعداء آبائنا من المشركين ، فلا يصح بيننا إلا المحبة والتودد والتعظيم والتبجيل إلى قولنا وإلا فاشهدوا وليشهد الله ورسوله والمؤمنون بأنا برآء ممن سوى ما ذكرنا مما لا يليق بيننا وبينكم إلا هو لانسفك إن شاء الله إلا دم مشرك بحول الله وقوته ، وإن شئتم فاتبعوا ما قال الله ورسوله وإلا فنحن والله بعون الله لا نزال ممتثلين أوامره فى عامة ما يطرأ علينا وما يسوق ربنا عز وجل إلينا انتهى المراد منها .

فلما قدم إليه رسلنا أمسكهم عنا مدة وشرع فى تلك المدة فى تجهيز جيوشه إلى المشركين ليعينوهم وكان المشركون حينئذ اجتمعوا على شاطئ البحر معسكرين ،

(١) جابل بجيم مفتوحة بعدها ألف بباء معقودة مفتوحة بعدها لام ساكنة اسم قرية .

(٢) ويتال بواو مفتوحة وياء ساكنة مفتوحة بعدها ألف ولام مفتوحة اسم قرية من أعمال سغ .

(٣) سنسند سين مهملة مفتوحة فنون ساكنة فسين مفتوحة فنون ساكنة ودال مهملة مكسورة اسم قرية .

(٤) على بن منز بعين مفتوحة ولام مكسورة سلطان سغ ومنزُ بميم مضمومة ونون ساكنة فزاى مضمومة والد على .

ثم إنه وجه إلينا رسلنا ومعهم رسل من قومه بأيديهم وثيقة لبس فيها على أعين الناس لعلهم يغترون ومن خلفها جيوشه يزحفون ووشحها بما لا طائل تحته من النصوص المذكورة فى غير محلها فرددناها إليه وأعرضنا عن جواب ما فيها اشتغالا واستعداداً لزحوفه ونحن ولله الحمد ومزيد الشكر لم يجعلنا الله عز وجل بمنه ممن يشتغل بما لا يعنى ولا يسمن ولا يغنى وإنما أعرضنا عن جوابها لعدة أمور منها ما لا يذكر ، ومنها أنه وجه هذه الوثيقة إلينا ومعها جنود كثيرة وجهها ليد بها أعداءنا من المشركين ويقويهم وينصرهم ويؤيدهم وجواب الجيش لا تنفع فيه الكتابة ، ومنها أن الوثيقة بنفسها حجة عليه ولا فائدة فيها أيضا وما كان هكذا ينبغى أن يعرض عنه ، ومنها أنا علمنا أيضا أنه لا ينفع فيه جواب لما إلا المساعدة على مطلوبه المحرم شرعا ، والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا ، لجاءنا جيشه واختلط بجيش المشركين فارسا بفارس وراجلا براجل ووجهوا جميعا إلى الكافر على بن منزُ رسلا فأعد لهم قراهم وما يقويهم على حربنا بيقره وزرعه وأغراهم علينا فمكثنا نحن فى سنسند ما شاء الله ، ثم إنه وجه إلينا وثيقته التى فيها ما نصه :

« وإذا أتاك كتابنا هذا فاختر لنفسك إحدى الخلتين إما الدخول تحت بيعتنا كما هو الواجب عليك وإما أن ترحل عن تلك البلاد فتتوجه إلى بلاد غيرها فتقاتل فيها أعداء الله وإلا فليس بيننا وبينك إلا القتال الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ .

فأعرضنا عن جوابها أيضا لعلمنا أنه لا فائدة متعلقة بها ولا زيادة فيها على ما هو الواقع بيننا أيامئذ لأن الدخول تحت بيعته أمر لا كلام فيه والرجوع عن المشركين على هذه الحالة محرم بجمع على تحريمه أيضا ولا كلام فيه والقتال الذى أوعد به واقع أيامئذ بلا شك سواء قدمت هذه الوثيقة أم لا لأجل اختلاط جيشه بجيش المشركين ولا سبيل إلى ذلك ، ثم إننا عبرنا البحر وفروا وفرقهم الله عنا منهزمين جميعا بعد ما قتلوا منا مقتلة عظيمة وانقلب الكفار مغربين إلى دار ملكهم وانهزم جيشه هو إلى جهة بلاده فتوجهنا إلى دار ملك الكفر سنغ سيكر(١)

---

(١) سيكر بسين مهملة ممالة بعدها ياء للمد فكاف مضمومة وراء مفتوحة اسم قرية .

ففر علي بن منز وأتباعه وترك أمواله وأرضه ومحا الله دولة الشرك فأمرنا بنقل أصنامهم وأوثانهم الكبيرة المعهودة من قصور دولتهم الكبيرة إلى سخ سيكر فجمعناها فيها ولم نكسرها إلى الآن لإقامة الحجة على أحمد بن أحمد هذا لما ادعى أنهم تابوا وكسروا الأصنام ولا يدخل هذه المدينة مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ويراها إلا ويشهد على كذبه وعلى كفرهم ، ثم لما مكثنا عشرة أيام فيها ما راعنا إلا جيشه وفيه جميع كبار أهل بلده وأعوان دولته على كثرة لا يعدها إلا الله صائلا علينا مختلطا بجيش المشركين فعسكر قريبا منا ومكث فى معسكره أربع عشرة ليلة وخرجنا نحن إلى خارج المدينة تلقيا له فما وقع علينا ولا طلب القتال إلا يوم هزمه الله ورده خائبا وإليه آيبا ، فمن يومئذ والحمد لله ما صال علينا والحمد لله أيضا الى الآن وشرعنا بعد ما رد الله جيشه هذا عنا فى قص أثر رئيس الكفر علي بن منز ، فما زالت جيوشنا فى أثره حتى خرج من جميع أرضه هاربا حتى نزل على أحمد بن أحمد هذا . فهذه حقيقة ما وقع بيننا وبينه من أول الأمر الى آخره فلينظر المنصف .

المقام الأول فى بيان ما أرسل به إلينا من وثائقه الباطلة ودلائله العاطلة

اعلم أيها المنصف رحمك الله أن أحمد بن أحمد هذا وجه إلينا خمس وثائق :

الأولى منها هى التى قدمت علينا فى النور وظفرنا بها بعد ما ظفر الكفار بحملتها فأوصلها الله الينا . والثانية : هى التى قدمت علينا ونحن فى سابسرى . والثالثة والرابعة والخامسة قدمت علينا ونحن فى سنسند . أما الوثيقة الأولى فهى موافقة للثانية فى جميع أنواعها ومقاصدها الا مازاد فى آخرة الأولى من قوله الحاق خير واذا أتاك كتابى هذا فارحل عن تلك الأرض التى تدعى أنك فتحتها الى دمل(١) بمجرد رؤيتك لهذا الكتاب الى آخرها وبالجواب عن الثانية يظهر الجواب عنها آية آية حديثا حديثا ونوعا نوعا .

---

(١) دمل بدال مهملة مضمومة فميم ممالة مشددة ولام ساكنة لأمير أرض كجور بكاف مفتوحة وجيم معجمة مضمومة بعدها واو للمد فراء ساكنة فهى إقليم من أقاليم سنكال .

وأما وثيقته الثانية : فأول براعة استهلالها قوله : الحمد لله الذى هدانا لدينه القويم وصراطه المستقيم وجعلنا من أنصار ملته الجلى وحماة شريعته المثلى . وفى هذا من التشبع بما لم يعط الله وإثارة هوى النفس بما لم يرتض الله به ما لا يخفى على أحد ووضع هذه الوثيقة والتى قبلها وإرسالها إلينا بعد صولته علينا مخالف لما ادعى لنفسه وحقيقة ما هو عليه من استحلال محارم الله ونصر البدعة وإخماد السنة الحقيقية مناقض له أيضا ويجىء على هذا المنوال قوله ونعتصم به من الآراء المضلة والأمانى الكاذبة المزلة والدعاوى الباطلة المضمحلة لأن تجهيز الجيوش إعانة للمشركين على المسلمين واستحلال قتالهم من الآراء المضلة لا التى يبقى معها إيمان ، وإن إعانة الكفر لأجل السلطنة لتعم به سلطنته وتمتد دولته من الأمانى الكاذبة المزلة التى تزل قدم صاحبها فى كل زمان ومكان وإن ادعاء الاستقامة والفخر بالكذب بتوبة على بن منز وكفاره وكون باغن تحت بيعته وكرت من الدعاوى الباطلة المضمحلة .

وأما إيراده قوله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه » الآية . فهو إيراد صدر عن جهل واحتجاج نشأ عن رضى نفس وأهل وهو حجة عليه فى ميله عن صراط الحق بإباحة دماء المسلمين وادعاء حقن دماء المشركين وهو ظاهر ومثله قوله : (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) . (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) . (ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها) . فهذه كلها حجج عليه مردودة إليه ، وأى تلبيس للحق بالباطل فوق مؤاخاة أهل الكفر على أهل الإسلام ، فالحق الإسلام ، والباطل الكفر كما قال المفسرون : فلا تلبيس أظهر من جعل المسلمين كفاراً تجب مقاتلتهم وتصيير الكفار كالمسلمين تجب موالاتهم ومظاهرتهم على المسلمين فلا افساد معروفا ولا فساد موصوفا أكبر من موالاة مشرك ومظاهرته على عدوه من المسلمين ، ففى تكملة الجلال السيوطى لتفسير الجلال المحلى فى تفسير قوله تعالى : « إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » ما نصه : إلا تفعلوه أى تولى المؤمنين وقطع الكفار تكن فتنة فى الأرض بقوة الكفر وفساد كبير بضعف الإسلام انتهى . وفى تفسير البيضاوى السراج المنير إلا تفعلوه أى ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم بعضا وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة فى الأرض أى تحصل فتنة فيها عظيمة وهى ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد كبير فى الدين انتهى .

وأما إيراده قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) الآية وقوله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) الآية وقوله تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) الآية وقوله تعالى (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي) الآية وقوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً) فهو إيراد صدر عن جهل مركب ، وتحريف متنكب إذ كلها حجج عليه مردودة إليه لمن عرفها تحقيقا وعلم ماعليه أحمد بن أحمد هذا تصديقا أما الآية الأولى فلا شك أن محـــل استدلاله منها لا يخلو من وجهين إما أن يكون قوله (وأولى الأمر منكم) وإما أن يكون قوله (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله) الآية فإن كان الأول فلعله جنوح إلى أننا تجب علينا متابعتنا إياه لأنه سلطان ، وهو عين ما أرسل به إلينا آخراً وإن كان الثاني فهو أمر لنا بالمحاكمة معه إلى الله ورسوله فيما تنازعنا فيه .

أما الأول فمتابعتنا إياه أجاب عنها هو بنفسه في هذه الوثيقة بقوله : فإن خلع الإمام نفسه وتسليم الخلافة إلى غيره ، حرام إجماعا إلى آخر كلامه هذا مع جهله بمعنى أولى الأمر في الآية وعلى الأمر بوجوب طاعتهم إنما هو على من لزمه اتباعهم خاصة وهو أيضا إنما يلزم في غير المعصية والتحقيق أن أولى الأمر العلماء أي علماء الشريعة وحجته قوله تعالى (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فأولى الأمر في الحقيقة العلماء ، وفي المجاز الولاة والخلفاء ولا يخفى على ذي بصيرة أن هذا بعيد من مقصوده .

وأما الثاني . فإنما يستقيم أن لو نازعناه في شيء تكون المنازعة فيه مخالفة لعين الشرع ولا نزاع بيننا من قبل حتى أوقع بيننا ما أوقع ثم إننا ما نازعناه فيما فعل حتى صال علينا أولا فرد الله جيشه عنا ثم انصرفنا عنه مغربين ثم قاتلنا ثانيا في سنسند فانصرفنا عنه مغربين بعد ما هزم الله جيوشه عنا ثم قاتلنا ثالثا في سغ سيكر فقعدنا عن أثره ، وانصرفنا عن نكره ووثائقه الخبيثة إلى الآن ما أجبنا منها واحدة فلم يقع منا نزاع له لا قولا . ولا فعلا ، لا أولا ، ولا آخرا .

وأما الثانية فهي (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) فليس فيها شيء مما يدل على

شيء مما بيننا قبل فى زعمه إلا أن يكون جلبها أثر الآية إشارة إلى أن مقصوده منها وأولى الأمر منكم وقد ظهر ما فيه وكذلك قوله (إن الذين يبايعونك) الآية .

وأما الثالثة فهى (فإن بغت إحداهما على الأخرى) الآية فلا شك أنها حجة عليه إذ هو الصائل الباغى فأما ان كان احتج على جواز قتالنا بها حتى صال علينا فهذا لا يخفى ما فيه من الجهل المركب وأما ان كان غير ذلك فهى أجنبية من المصقود وكذلك قوله (تلك الدار الآخرة نجعلها) الآية فإنها حجة عليه أيضا فإن ارادة العلو عليه أظهر اغتراراً بكثرة خيله ، وقوته ، وحيازة المشركين من دون المؤمنين وإرادة الفساد أبين عليه لإرادته توهين المسلمين وإباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم فسوف يرى ، ويرى المسلمون إن شاء الله لمن تكون العاقبة هذا مع أن أئمة الحديث عدوا من أنواع التحريف إيراد الآية والحديث فى غير محله ولكنهم عذروا فيه بالجهل فلينظر فى شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر هذا وكم من باحث بظلفه عن حتفه فليت شعرى كيف يكون من يعلم هذه الآية تحقيقا ويفعل هذا وأما قوله . وأفضل الصلاة على البشير النذير القائل : « لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها » ، « إن الدين النصيحة قالوا . لمن يارسول الله قال . لله ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » وعن حذيفة قلت : يارسول الله فماذا تأمرنى إن أدركت ذلك الزمان قال « الزم جماعة المسلمين وإمامهم » فمن فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية ومن آوى محدثا فعليه لعنة الله يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ فى النار » « من أتاكم وأمركم جميع على رجل وأراد أن يشق عصاكم فاضربوا عنقه كائنا من كان » أو كما قال :

فاعلم أن هذه الأحاديث أولها خال من المقصود مما بيننا معه ، إلا أن يكون عنى بذلك ما يؤثر عنه أنه هو من تلك الطائفة وهو لعمرو الله محتاج لدليل ويكذبه حاله هو بنفسه فى نفسه لقيامه بما يخالف السنة وإثارته نار الفتنة .

وأن ثانيها حجة عليه أيضا لأن الفتنة المنهى عنها إنما هى الفتنه الواقعة بين أصناف المسلمين وهو بنفسه أول من أيقظها فطلبنا إخمادها وإطفاءها فأعيانا فأول ما جرى بيننا وبينه صولته علينا ومؤاخاته المشركين أيامئذ علينا فأباح قتالنا عناداً واتخذ المشركين واتخذه المشركون عضداً وإمداداً وإن ثالثها خال أيضا

عن المقصود إذ ليست النصيحة بيننا و بينه على زعمه وقوله وفعله ، ولوكانت واجبة بين جميع المسلمين بعضهم لبعض هذا مع أننا مارأينا منه نصيحة ، ولكن شتما ، وفضيحة ، وحيشا صائلا ، واستحلالا لقتالنا مائلا وأن رابعها إنما يتصور الاحتجاج به علينا أن لو أوجب الله على جميع المسلمين فى جميع أقطار الأرض بيعته واتباعه وهو محال فمن المسلمين أئمة غيره وجماعات خلاف قومه لم يوجب الله عليهم بل لم يبح لهم متابعتهم إياه فى جميع هواه وأن خامسها وسادسها وسابعها كذلك وأن ثامنها خال أيضا عن المقصود لولا التلبيس لأنه إنما يتصور الاستدلال به ، أن لو أتينا أرضا له فيها كلام أو لأهلها به معرفة أو لقوم مسلمين قد دعاهم اليه ولو كانوا كذبوا عليه وهذا كله منتف وفيه أيضا تحريف بين لايخفى وأما قوله الى ابن سعيد اعلام له أنا بحمد الله على ماوجدتنا عليه وتركتنا فيه وعاهدتنا به أنت وغيرك لم نبدل ولم نغير طريق الشيخين المرضيين رضوان الله عليهما من نصرة دين الله وكذاوكذا الى أن عد كثيراً من شعائر الإسلام ، فيكفى فى جوابه مع ما فيه من إدعاء الاستقامة وتبرئة النفس عما هو الواقع من الظلم اللتين يكذبهما العيان وما قال الشاعر .

من تحلى بما ليس فيه ‏ ‏ ‏ ‏ كذبته شواهد الامتحان

ومع ما فيه من نسبة الظلم بجميع أنواعه لوالدية ومن عقوقه لهما لنسبته الظلم إليهما ما أجابه به شيخه أحمد البكاى فى رسالته إليه حيث قال : فإن دعواكم أنكم على بصيرة من دينكم ما دمتم على طريقة شيخكم إن كان دينكم هو دين الإسلام غير صحيحة ولاصادقة كيف تكونون على بصيرة من دين الله وأنتم على سنة بشر غير نبى بل أنتم اذاً والله على غير بصيرة وعلى غير بصر وشاهد ما قلت أنكم ادعيتم أنكم لن تضلوا ما تمسكتم بسنة بشر غير نبى ذلك غيب أخبرتمونا به فنكذبكم عن اللتين : عن علمكم بالغيب وعن إخباركم به فيكون أيضا نفيكم للضلال عين الضلال وما ذكرتم من التمسك عين التهتك ، فالكل مكذوب به ، والكل ضلالة ، فما كان لبشر أن يسن إلا يكون نبيا ، ولا أن يدعو إليها ولا يستن به وما ادعاها قبلكم قط أحد من البيضان العرب ولا البيضان العجم فضلا عن السودان وانما له أن يقول ذلك فيصدق به ويصدق فيه ويتابع عليه النبى صلى الله عليه وسلم وما قال ذلك حتى أخبره الله به وأطلعه على غيبه وأمره به ، وكلفنا بقبوله منه فقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » الآية .

(من يطع الرسول فقد أطاع الله) (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله)
الآية . فلما قيل له هذا قال مصرحا به مبينا له : (إنى تارك فيكم الثقلين ان تضلوا
ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتى) وقد صدق وبر وصدقناه وبررناه وليس ذلك
لغيره من بيضانى ولا سودانى ، فما قال مثله أبو بكر و لا عمر ولا قاله الجنيد ،
ولا قاله أبو يزيد البسطامى ولا غيرهم ، فكيف يدعيه فلا نى بجهله ولفلانى من
أهله فيسمع بأذن أو يقبل بذهن لأهل الله . ماصدق من قال ولاصدق من سمع .
وأيضا ما قلتم هذه الكلمة إلا أن أحقق ما ذكرت عنكم من الجهل أم لماذا؟
أو أيضا لا أدعوكم إلى سنة أبوى شيخى فلا تدعونى إلى سنة أبويكم شيخيكم ،
وأيضا ما أنا ممن يعظم والديه بما يسبهما لفساد تصوره كما قال الشاعر :

وإن لسان المرء مالم تكن له حصاة على عوراته لدليـــل

ثم قال أيضا لا أعتذر عن نفسى إن أسأت بأنى مقتد فى الإساءة بشيخ لى أو أب
بل أقر على نفسى وأبريه وأيضا لا أقبل من سخافة العقل إلى أن يصح عندى أن أحسن
القبيح فى العقول بفعلى له أو فعل من يكرم على وأيضا سنة النبي معروفة غير مجهولة
يعرف بها صاحبها من فعله لا من قوله ويميز بها غير صاحبها من فعله لا من قوله وأيضا كل
صاحب ضلالة لا يدعى أنه صاحب ضلالة وأيضا لا أقول فى شيخيكم شيئا
ولا أذكرهما بشر ولا خير . ولكنى أشهد أنكم لستم على سيرتهما إن كانا متبعين
للسنة فإن تعشير أموال المسلمين وخلط زكاتهم وتخويف البرىء ظلما وإخراج
المسلم من داره وتذكيته فى ماله كل هذا مخالف للسنة حتى ليس على أسلوب البدعة
فإن ادعيتموه من السنة كفرتم وإن جهلتموه فقد صدقت فى تجهيلكم وإن
تعمدتموه فقد صدقت فى تظليمكم فوحق شيخيكم ما أنتم على السنة ولو قطعتم لسانى
وأبعدتم مكانى ثم لا يدعى عندى مدع أنه على السنة فأكذبه فإنه لا يكون على
السنة إلا عالم بها ، ولا عالم بها إلا عالم بالكتاب ، ولا عالم بالكتاب ولا بالسنة
فى عصرنا هذا إلى أن قال ، وأما علم الحق بالكتاب والسنة فوالله ما هو عندكم
ولا أنتم من أهله ولو كنتم من أهله لجئتمونى حبواً على الركب بل لم تطردونى حبا
للذهب بل للودع والخشب فلا عالم فى دهرنا ، لكن الإمام محمد بل بن الشيخ
عثمان له ذوق من الكتاب والسنة وله ميل الى علمهما وحب له والشيخ أحمد حظ

من الفقه والتصوف ولابنه خليفته الأمير أحمد حظ من الرجولية ثم أنتم أعلم بأنفسكم (بل الإنسان على نفسه بصيرة) ولله در القائل :

ومهما تكن عند امرىء من خليقة ... ولو خالها تخفى على الناس تعلم

الى أن قال : فليتكم قطعتم عنكم اللسان بأنكم على سنة صاحب السنة ولو كنتم كاذبين فإنه خير لكم فإنه لا ضال ينتمى الى طريقة الا من أب له أو شيخ له خارجة عن طريق الأنبياء وسنتهم ، أما فى الكفار فقد قال تعالى حكاية عنهم : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) . وأما فى المنافقين فإن كلمتهم بالكتاب المحكم والسنة الصحيحة قالوا لك إنا على مذهب العالم الفلانى وهو على السنة فيرضى أحدهم لنفسه أنه على مذهب عالم لا على سنة النبي ويرضى العالم أنه على سنة النبي فتعسا له لا لها وسحقا لها معا وانما يريد ما تريدون حذو النعل بالنعل وذلك لا يخفى عليكم فإنه منكم واليكم ، انتهى المراد من كلامه هذا .

مع أنه لا يرضى عاقل ولو كان أقل الناس عقلا أن ينتمى الى أبيه وجده فى شيء وهو فى نفسه على خلاف المحمود من ذلك الشيء بل على عين المذموم منه فإن نسبته ما هو فيه اليهما مع كونه هو على ما لا يرضاه أحد لعدوه من المسلمين فأحرى أن يرضاه لأخيه فأحرى أن يرضاه لنفسه من المحرم المجمع على تحريمه مما صيره دنيا واتخذه دينا لا يخلو من أن يكون حقا أو كذبا فإن كان حقا فستر المؤمن واجب وتعريض المسلم بالمسلم الأجنبي لمثل هذا الكلام والظن السوء حماقة وجنون وخلاف المأمور به فى الحديث الذى أورده أحمد بن أحمد هذا فى آخر هذه الوثيقة وهو : لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا . فكيف بذلك فى المسلم الميت القريب الأب والجد ، هذا والله عجيب وان كان كذبا فهو غيبة لهما وبهتان وعقوق والثلاثة محرمة بالإجماع فإذا كان ربنا عز وجل نهى قول المرء لأبويه أف فقط فكيف بإقامة الدليل على الكذب عليهم والغيبة والبهتان فى حقهم أو على تعليم الناس أنهم كذا وكذا من تعداد مثالبهم هذا مع أن مثال هذا الذى صدر من أحمد بن أحمد هذا لا يصدر من ذى عقل كما بيناه ولا من ذى دين أيضا فإن عامة الناس من الجهلة يتخذون آباءهم وأشياخهم حجة على الشرع فيتبعونهم فى التحليل والتحريم حتى يبلغوا غاية التقليد المفضى إلى الكفر وعلى

هذا ورد تكفير الله عز وجل لليهود حيث قال : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) . قال فى السراج المنير عند هذه الآية لأنهم أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كما تطاع الأرباب فى أوامرهم .

وعن عدى بن حاتم حيث قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب ، فقال : يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ، ثم أتيت إليه وهو يقرأ سورة براءة الى أن وصل هذه الآية فقلت إنهم لم يعبدوهم ، فقال أليس يحرمون ما أحل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيحلونه ، قلت بلى ، قال تلك عبادتهم .

ثم قال بعد كلام وقد يبالغ بعض الجهال فى تعظيم شيخه بحيث يميل طبعه الى القول بالحلول والاتحاد ، قال الرازى وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدنيا بعيداً عن الدين قد يلقى اليهم أن الأمر كما يقولون ويعتقدون . وعن الفضيل رضى الله عنه : ما أبالى أطعت مخلوقا فى معصية الخالق أم صليت لغير القبلة انتهى المراد منه . وأما قوله حتى ان كبير البنادر بل بن منز أخو عل بن منز أرسل رسله وأمناءه أنه أسلم على أيدينا وتاب الى الله شكراً لا فخراً فلا يخفى وجه فساد ايراده ذلك لأنه كذب محض لأن بل بن منز هذا مات على ما كان عليه آباؤه وقام بعده أخوه عل هذا ثلاثة أعوام وهو على كفرهم ودولتهم على كفرها وعلى تسليم أنه تاب على أيديهم فإن كان حقا فلم أغار أحمد بن أحمد على كفار أهل سنغ وزحف إليهم بجنوده وهم على زعمه أسلموا له وتابوا على يديه لأن هذه الكلمة قالها أيام بل وتوبة عل قالها أيام عل . ولو قدرنا ملكا من بنى منز بعد عل فى سنغ لقال أحمد بن أحمد إنه تاب له اذ البدايات بجلاة النهايات .

وأما إيراده لحديث « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها » فلم يصادف محلا وهو حجة عليه فى نفس الأمر لإيقاده الحرب بين طوائف المسلمين حتى أهدر من دمائهم ما سيلاقيه عند رب العالمين فياليته علم هذا الحديث علم يقين وترك عنه وساوس شيطانه وكف بنفسه عن ذلك أو رد كلام من يحسن له إيقاع الفتن بين أولئك الطوائف حتى يهدى الله به رجلا واحداً أو اثنين ممن معه ممن أضله الله .

وأما قوله والحاصل أنا لا نعلم شيئا مما مضى عليه السلف الصالح إلا ونحن فيه بحسب الزمان والمكان فهو مع مافيه من تمام الإخبار عن كمال الرضى عن النفس جهل مركب أيضا وكذب محض لأنه إما أن يكون ادعى أن جميع ماهو عليه مما هو ملتبس به مما جعله شرعا وسنة كان عليه السلف الصالح فهو تكفير لأهل السلف الصالح وحاشاهم وإما أن يكون كذبا أو زوراً عليهم فالله حسيبه فى ذلك .

فياليت شعرى كيف يقول هذه الكلمة من يستحل المحرم المجمع على تحريمه ويجعله دينا مستمراً فى عامة بلاده وجعل منه مستمدات بيت ماله هذا والله الجهل والعجب والجهل بهما .

وأما قوله فمن كان يعيننا على هذا المقصد أو يستعين بنا على ذلك فهو منا ونحن منه ومن لافليس منا ولسنا منه ولا يخفى عليه مانفعل معه فالجواب فيه أن طلب الإعانة منه متجه لو كان يحب نصرة الإسلام فقط دون هواء كيف وهو لا يريد ولا يحب إلا إماتة السنة القائمة وإيقاظ الفتنة النائمة مع أننا والحمد لله لم نطلب ولا نطالب منه إعانة قط لعلمنا بما هو عليه وأما إعانتنا نحن له على مقاصده المحرمة فالظن أن ذلك لا يخطر فى قلبه وهو التحقيق وإيراده لحديث الحق يعلو ولا يعلى عليه حجة عليه فلينظر ، وكفى شاهدا العيان ، ولو كان يعلم هذا حقيقة ما صدرت منه موالاة المشركين ونصرتهم على مقاتلة المسلمين وكذا آية (أليس الله بكاف المبده) وكفى به دليلا على أن كثرة الخيل والرجال لا تفيد فى طلب إطفاء نور دين الله وقلتها لا تضر عبيد الله من أولياء الله وكذا آية (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) وكذا آية (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) وآية (ومكر أولئك هو يبور) وآية (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) وآية (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) كلها حجج عليه مردودة إليه (فلينظر العاقل كيف كان مكر أحمد بن أحمد هذا مع المشركين فى موالاتهم ونصرتهم على المسلمين من أول أمره إلى آخره هل أفسده الله أو أباده وهل أطفا الله عن طوائف المسلمين ناره . وشاهد الأحوال يقضي بيننا فيما يحتج به علينا وقد كشفت قرائن الأحوال عن الشهادة بكل حال .

ويجرى على هذا المنوال قوله من حفر بئرا لأخيه وقع فيها ومن سل سيف البغى قتل به فهو حجة عليه وقد ظهر للناس وقوعه فى هذه الحفرة وقتله بسيف بغيه وظلمه .

وأما قوله أو إلى دين محدث مخترع مبتدع إلى آخر هذا المنوال فهو من باب الشتم لنا والذم والتعريض والتصريح والاستهزاء والتحقير والمؤمن الكامل الإيمان العارف بالله لاينتصر لنفسه بمثل ماقيل له من فحش القول ولو أباحه الشرع له إذ التعرض لذكره بمالا يعنى ولا يسمن ويغنى .

وفى الحديث من حسن إسلام المرء تركه مالايعنيه لكن أظنه استعاذ فى آخره بقوله عافانا الله وعصمنا وأعاذنا من الجهل ومن الجهل بالجهل بما لم يعظه الله منه فهذه الوثيقة وأخواتها كلها من الجهل بالجهل لكنهم قالوا :

ومن أعجب الأشياء أنك لاتدرى وأنك لا تدرى بأنك لا تدرى

فليس فيها كلها ولم يفعل هو فى جميع مافعل إلا ما نشأ عن الجهل بالله عزوجل والجهل بكتابه ، والجهل بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والجهل بغرور الدنيا والجهل بكثرة الخيل والمال ونحو ذلك والجهل بنوائب الدهر وحوادث الأيام ولولا الجهل المركب ما كان أمره معنا هكذا ، لكنه جاهل قرب جهالا واستكتب جاهلا أجهل من الجميع واتخذ معلما أجهل ورسلا جهلة فهو فى غاية الجهل ما خرج منها ولاتخلف عنها وشاهد ذلك إيراده لما هو حجة عليه وتحريفه لكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واتخاذه المحرم جائزا بل فى قول وزعمه واجبا فانظر فى أجوبة هذه الوثائق وتحصيل ما فيها من الحقائق يتضح لك ذلك ويظهر أن قوله : فاعلم ماأورث الخشية وماسواه ضلال وفى الحديث « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » محض تلبيس وإن كان يمكن أن يكون هذا محلا للاستدلال علينا مع مافيه من التعريض فينا فالأولى أن يصدر من غير هذا المحل إذ الأعمى لا ينكر على البصير قال الشاعر :

ومن قال إن الشهب أكبرها السهى بغير دليل كذبته ذكاء
ماضر شمس الضحى والشمس طالعة أن لايرى ضوءها من ليس ذا بصر

وإن قوله نعوذ بالله من علم لاينفع ومن الاغترار بالباطل استعاذة مما لم يعذه الله منه ولكن من حفر بئرا لأخيه وقع فيها وهو يعلم أن طلب الإعاذة من العلم

الذى لا ينفع إنما يتصور بعد حصوله أو حصول أقل قليل منه وهو لم يحصل منه شئ له وإنما اغتر بباطل كفار المشركين وأكاذيبهم عليه وأموالهم وبباطل لجار سعاته من بطانته التى لا تألوه خبالا حتى وقع فيما وقع فيه فليت شعرى كيف يكون من هو هكذا ويقول أبيضى وأصفرى وغيرى غرى هل يتصور غرور فوق ما يخرج المرء من ربقة دينه وهل الذهب والفضة فوقهما غرور ولاسيما هولما أعطاه رئيس الكفار ذهبه فغره فوالى أعداء الله وعادى أحباءه وأولياءه .

وأما بقية الآيات والأحاديث التى أورد فهى كغيرها مما قدم وأخر وعدد حججا عليه مردودة إليه وهو الأحق بأن يخاطب بها ووجه دلالتها عليه بين لا يخفى وأما قوله فياسبحان الله كيف يدعو مسلم إلى حرام مجمع عليه مع أن خرق الإجماع حرام متوعد عليه بالنار فجوابه أن يقال ياسبحان الله كيف يدعو من يدعى الإسلام إلى كفر مجمع على أنه كفر فيدعو إليه من معه من المسلمين وإن لم يجيبوا أكرههم إلى مافيه تكفيرهم أو كيف يدعو من يدعى الإيمان إلى محرم مجمع عليه ويتمذهب به ، ويجعله دينا مستمراً أو كيف يدعو من يدعى الإسلام أهل الإسلام القائمين بالجهاد إلى ترك المشركين بعد ما أحيط بثمرهم فيبقون على ما كانوا عليه من شركهم وهو جواب بنفسه له عن قوله فى الوثيقة الخامسة إما الدخول تحت بيعتنا كما هو الواجب عليك وإما أن ترحل عن تلك البلاد إلى آخره هذا وجميع ما يدعونا نحن وجميع المؤمنين إليه حرام وأما قوله فإن خلع الإمام نفسه حرام إجماعا فهو حجة عليه كغيره أيضا وهو جواب له عن وثيقته الخامسة كلها وسيأتى بيان ذلك وأما قوله فلا تجعل الله عليك سلطانا مبينا ولا للسلمين سبيلا فهو حجة مردودة إليه لأنه هو الذى جعل لله سلطانا مبينا عليه وللسلمين المخلصين سبيلا اليه فوالى الكفار من دون المؤمنين قد قال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) وقال تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) ومن حمى المشركين من دون المؤمنين فلا شك أنه جعل للسلمين الصادقين فى إيمانهم وإسلامهم اليه سبيلا وزاده نهانا عما فعل هو فيصدق عليه إيراده فى هذه الوثيقة لبيت الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وأما قوله لأمر رسول الله ﷺ بإحسان الظن بالمسلم والتأويل له ما وجد له مخرج فهو حجة عليه فينظر مع ما فى هذه الوثيقة وأخواتها من الشتم واللعن وسوء الظن يظهر تركه لهذا الأمر ولكن لو كان يعلم غير هذا لقاله ، لأنه نشر فى وثائقه إلينا من المثالب الكذبية ما استحضرته نفسه الأمارة وعدد من المعائب الزورية القذفية ما أثاره .

وأما قوله وأما ماذكرت من الاستيلاء على جميع أرض كرت فليكن فى علمك أن جلها وأرض باغن داخلون تحت بيعتنا . فهذا الكلام أكثر فى وثائقه منه وهو من المحال أصلا ومن الكذب رأسا فأرض كرت كفر بلا شك ودخولها تحت بيعته من الكذب الذى لاتقبله أذن سامع والكلام فيه لافائدة فيه لأنه لا يصح فى عقل صدق ما قال إذ هى أرض شرك وعبادة أصنام وكفر صريح فادعاؤه أن أهلها تحت بيعته مثل ادعائه أن أهل سغ بايعوه وكلتاهما باطلة قطعا قال الشاعر :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

وقوله لا يجوز لك أن تتعرض لدعوتهم إليك وذكره لكلام المغيلى فى أجوبة أسكيا فهو حجة عليه لأن كلام المغيلى لفظه الثانى بلاد لأهلها أمير يراعاهم فى مصالح دينهم ودنياهم إلى آخره ، وهذه الأرض التى زعم أن أهلها تحت بيعته لم يكن أميراً عليهم أصلا اللهم إلا أن يكون تمنى ذلك فى نفسه فما زال تمنيه يزداد فى قلبه حتى ظنه كان وهو تخييل فاسد وعلى فرض أنه أمير عليهم فمراعاته لمصالح دينهم فى كلام المغيلى لم يقع منه فى حقهم من الإصلاح إلا تركهم على كفرهم وعبادة أصنامهم وذبحهم لطواغيتهم وقتلهم للمسلمين وظلمهم للبلاد والعباد فهل يمكن أن تكون فى هذا مراعاة لهم فى مصالح دنياهم فقط فضلا عن دينهم المعدوم حسا كيف وليس بينهم وبين أحمد بن أحمد هذا إلا قتلهم وسبيهم إن ظفر بهم وقتله وسبيه إن ظفروا به ما أبعد السماء من نبح الكلاب فكلام المغيلى الذى احتج به إنما هو فى قوم مسلمين لهم أمير مسلم تجرى عليهم أحكامه لا فى غيرهم بدليل قوله أول الكلام ولفظه كما فى ضياء السلطان لعبد الله بن فودى وحاصل الجواب أن البلاد ثلاثة أقسام ، الأول بلاد سائبة ليس لأهلها أمير فاجبرهم إلى مبايعتك ، والدخول تحت طاعتك فإن أبوا ذلك فاجبرهم عليه ما استطعت لأنه لا يحل للمسلمين أن يكونوا هملا .

الثانى بلاد لهم أمير يرعاهم فى مصالح دينهم ودنياهم ، بحسب الإمكان فى هذا الزمان وهؤلاء لا يحل لأحد منهم أن ينزع يده من طاعته ولا يحل لأحد أن ينازعه فى رعيته لأنه أولى بهم من غيره ما دام على طاعة الله ورسوله وفى صحيح البخارى إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الأخير منهما الثالث بلاد لهم أمير من هؤلاء الأمراء الذين وصفت بأخذ المكس وبالظلم وبالفساد وعدم الإصلاح فإن استطعت أن تزيل ظله عن المسلمين من غير مضرة عليهم حتى تقيم عليهم أميراً عادلا فافعل وإن أدى ذلك إلى القتال وقتل كثير من الظلمة وأعوانهم وقتل كثير من أعوانك لأن من قتل منهم شر قتيل ومن قتل منكم خير شهيد إذا كان قتالكم لنصر الحق على الباطل ونصر المظلوم على الظالم أى لا على المال والملك والبلاد فهذا الجهاد فى هؤلاء الأمراء الظالمين وفى المحاربين أولى من الجهاد فى الكفار الذين وصفت ثم قال وليس من المنكر قتل الظلمة وأعوانهم ولو كانوا يصلون ويصومون ويزكون ويحجون إذا كان لنصر الحق وأما إذا كان فى بلد له سلاطين أو كبراء فزعم بعضهم أنه يقيم العدل ويزيل الظلم إن أعنته فانظر فى حقيقة قوله وبرهان زعمه فلسان الحال أصدق من لسان المقال ولا يغتر بحسن الأقوال مع سوء الأحوال إلا الأغبياء والأطفال فإن وثقت بزعمه فأعنه على ما فيه منفعة للمسلمين وإن لم تثق به فلا تعنه واعمل لنفسك ما ينبغى لك ودع الظالمين كلهم فقد ينتقم الله من الظالم بالظالم ثم ينتقم من كليهما — ومن ثبت أنه حلل المكس ونحوه من أكل أموال الناس بالباطل فكافر انتهى المراد من كلامه فلا يشك عاقل فى أن تقسيمه هذا للبلاد هذه إنما هو لبلاد الإسلام لا لبلاد الكفر ، وأرض كرت وباغن قبلنا لم يمض عليها حكم مسلم إياً كان وسيأتى الكلام على أرض باغن وإنما بيناهنا أن كلام المخيلى حجة عليه فقط وأما قوله فإن لحوم الأولياء مسمومة إلى آخر كلامه فهو حجة عليه مردودة إليه وما ذكر بعده محض الكذب ، ويا ليت شعرى كيف يقول هذا ويحتج به من عمل على معاندة أولياء الله المؤمنين واشتمل على اتخاذ المشركين من أعداء الله أولياء واتخذ سبيلا بين الكفر والإيمان ليصد عن سبيل الله ويعمى أبصار من معه من أهل لا إله إلا الله حسبنا الله ونعم الوكيل .

وأما وثيقته الثالثة وهى الأولى من وثائق سنسند فليس فيها كبير جدوى

إلا أنه موه فيها باستدلال على قتالنا بدخولنا سنسند وإن أهلها فى بيعته حيث قال سمعنا أنك حللت سنسند بعدما بلغك أنهم بايعونا وأنهم من سائر رعايانا إلى قوله فإن صرت إلى مثل هذا من الأفاعيل وأحياء الأباطيل اتخذك أهل الأهواء حجة فى ذلك إلى قوله وتصير مصابا لقوله تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) الآية وغشى ذلك بقوله وأنت تعلم قوله الفتنة نائمة ملعون من أيقظها ، وحديث « إذا تواجه المسلمان بسيفيهما » إلخ . . . وحديث « لا ترجعوا بعدى كفاراً » الحديث وقوله « سب المسلم فسوق وقتاله كفر » إلى آخره وبأنا تعرضنا له دون أهل باغن وهم فى بيعته حيث قال فقد تعرضنا دون أهل باغن وهم فى بيعتنا إذ كلهم داخلون تحت بيعتنا من رئيسهم المختار إلى مرؤوسيهم صنبن بيكر وغيره كما يعلمه كل أحد إلى آخر كلامه وبأنا نزلنا فى مدينة سنسند قاصدين أعداء الله من أهل سخ وأننا إن لم نرجع عنهم ونتركهم له بعد فلا شئ بيننا إلا القتال لأنهم أسلموا له وصاروا منه حيث قال والآن أسلموا وكسروا الأصنام وتابوا إلى الله وبايعونا وكتبنا إليك هذا الكتاب لنعلمك بذلك فتخرج من مجموع ماذكر ثلاث مسائل الأولى مسئلة أهل سنسند والثانية مسئلة باغن والثالثة مسئلة سخ وباقى الوثيقة لاطائل تحته .

أما المسئلة الأولى وهى مسئلة دخولنا سنسند فهى مسئلة ظاهرة لمن أعطاه الله عقلا وليس فى دخولنا إياه أمر يبيح لأحمد بن أحمد هذا تجهيز الجيوش إلينا ولا مظاهرة المشركين علينا لأن رئيس هذه المدينة وجدناه كافراً وكان قبلنا كافراً تحت كافر مثله والحكم لرئيس البلد الأعم كما لا يخفى وللبلد الأخص على دعوى أحمد بن أحمد هذا أيضا فى إخراجه من أرض سخ قال الشيخ عثمان بن فودى فى كتاب بيان وجوب الهجرة وحكم البلد حكم سلطانه انتهى وقال فى موضع آخر منه وحكم البلد حكم سلطانه بلا خلاف إن كان مسلما كان البلد بلد إسلام وإن كان كافرا كان البلد بلد كفر يجب الفرار منه إلى غيره وكذلك قال أحمد بن سعيد فى مختصر كمال الإكمال انتهى فإذا كان الحكم للبلد هو حكم السلطان فلا يخفى وجوب دخولنا فى هذه المدينة ولا يشك عاقل شاهد هذه الأرض فى أن هذه المدينة مدينة من مدن سخ ماض عليها حكمه يفعل فيها سلطان سخ ما يفعل فى جملة قراه فهى من سخ أصلا ولو كانت تحت بيعة

أحمـــد بن أحمد هذا ما كان أمره معها هكذا فعلى أنهـــا تحت بيعته كما قال فقد دخلناها ورئيسها كافر ولما دخلناها وجاءتنا رسل أحمد بن أحمد هذا بهذه الوثيقة أريناهم أصنامه التى كان يعبد من دون الله وكانت فى داره فأخرجناها حتى رآها الناس الحاضرون فعلى دعوى أحمد بن أحمد هذا أن أهلها ليسوا من أهل سغ فقد دخلناها وحال أهلها هكذا وعلى أنها من سغ تحت أهله فهم كفار أيضا فلا مانع فى حكم الله عز وجل من دخولنا إياها على كلا الأمرين هذا مع أن ادعاءه أنهم تحت بيعته كذب محض كذبه الشرع والعادة لأنه لا يمكن أن تكون مدينة فى بيعة لاتجرى عليها أحكام تلك البيعة والبيعة المذكورة يقال فيها إنها للمسلمين والمدينة المذكورة فى وسط المشركين لا يجرى عليها إلا حكم المشرك سلطان البلد فكيف يمكن جريان حكم الإسلام وحكم الكفر معا على مدينة واحدة فلايتصور أن هذه المدينة تحت بيعة أحمد بن أحمد هذا إلا بعد تحقيق ما عليه أهلها هل هو إسلام أو كفر كيف وهو لم يدخل هذه المدينة بنفسه ولا دخلها رسول منه ولا ممن ينسب إليه وكلما رام هو أو جيشه الدخول فيها أبى أهلها وقاتلوا وعلى كل فإن دخولنا فيها واجب على دعوى أحمد بن أحمد هذا وعلى أنهم من سغ لكفر أهلها مطلقا وتخليطهم أعمال الشرك بأعمال الإسلام لأنهم يدعون الإسلام لفظا ويعملون أعمال الشرك فعلا ، ومن كان حاله هكذا فلا خفاء فى وجوب قتاله لأنه كافر بلا شك ، ففى أجوبة أسكيا ومصباح الأرواح فى أصول الفلاح كلاهما للمغيلى فى جوابه عن قوم يدعون الإسلام ويعظمون بعض الأماكن وبعض الأشجار والأحجار بالذبح والصدقة عندها ويستعينون بالكهنة والسحرة .

إن من كانت حالته هكذا كافر بلا شك قال لأن الكفار ثلاثة أصناف .

الأول : من هو كافر صريح بالأصالة كالنصارى والمجوس ونحوهم ممن ورث الكفر الصريح عن آبائه .

الثانى : من كان مسلما ثم ارتد عن دين الإسلام ارتداداً ظاهراً وصرح أنه خرج عن دين الإسلام ودخل فى غيره من دين الكفر .

الثالث : من يزعم أنه مسلم وحكمنا بكفره لأجل أنه صدر منه ما لا يصدر فى الظاهر إلا من كافر كما ذكرتم عن سن عل وجماعته انتهى .

وقال : قبل هذا إنما يكون التكفير بأمر من أمور ثلاثة :

الأول : مايكون نفس اعتقاده كفراً كإنكار الصانع .

الثانى : صدور ما لا يقع إلا من كافر وإن لم يكن كفراً فى نفسه مثل استحلال شرب الخمر ، وغصب الأموال ، وترك فرائض الدين، والقتل ، والزنى ، وعبادة الأوثان ، والاستخفاف بالرسل ، وجحد شىء من القرآن .

الثالث : أن يقول قولا يعلم أنه لا يصدر إلا من جاهل ففيه الخلاف إلى أن قال : وإذا علمتم ذلك تبين أن الذى ذكرتموه من حال سن على وجماعته علم على الكفر بلاشك ، فإن كان الأمر فيه كما ذكرتم فهو كافر، وكذلك من عمل بمثل عمله ، بل يجب التكفير بما هو أقل من ذلك انتهى المراد منه .

وقال الشيخ عثمان بن فودى فى سراج الإخوان فى الفصل الرابع فى حكم أقوام يفوهون بكلمة الشهادة ويعملون أعمال الإسلام لكنهم يخلطونها بأعمال الكفر : إن جهاد هؤلاء واجب إجماعا لأنهم كفار إجماعا إذ الإسلام مع الشرك غير معتبر انتهى .

وهذا كله على تسليم أنا دخلنا هذه المدينة بغير إذن أهلها ، وأما على أنهم أرسلوا إلينا بالتوبة والدخول تحت البيعة مع تحقيق الناس كلهم أنهم من أهل سنخ لاغير فلا كلام .

فيظهر بعد هذا أن قوله فى هذه الوثيقة والأخذ فى إثارة الفتن وإحياء الأباطيل حجة عليه فى نفسه فلا إثاره فتنة أكبر من تجهيز المسلمين ليعينوا المشركين على قتال إخوانهم من المسلمين ولا إحياء للأباطيل أو فر من طلب بقاء دولة الشرك بعد ما أحيط بثمرها وبقيت على شفا جرف هار ، فالأباطيل الشرك .

ثم يظهر رد سهمه فى نحره وخشه فى نكره بالآية التى ذكر وهى قوله : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة » الآية . فلا خفاء أنه أضل من تبعه من المسلمين بغير علم حتى أوردهم النار الدنيوية والأخروية معا ، وكذلك أيضاً فى الأحاديث التى احتج بها كما بينا قبل .

وأما المسألة الثانية وهى مسألة باغن : فبيانها أن هذه الأرض منذ كانت على ثلاثة أقسام :

الأول : بنابرة كفار مشركون يعبدون الأصنام من دون الله .

والثانى : محاربون يقطعون الطرق ويأخذون المكوس ويستحلون المحرمات ويأخذون من المشركين ومن المسلمين معا وهم يقولون لا إله إلا الله وليسوا تحت بيعته منذ سكنوها إلى أيام دخولنا فيها .

والثالث : قبائل مسلمون مستضعفون أسارى بأيدى المشركين من البنابرة وغيرهم وهى أرض هكذا جامعة لهذه الأصناف ، فمن راعى أن الحكم الأكثر وجب عليه قتالهم كلهم ، ومن راعى أن الحكم لرئيس البلد وجب عليه قتالهم أيضا لأنه إما كافر صريح أو محارب أو متعلق بأحدهما يدعى الإسلام ، وعلى هذا الوصف وجدناها فلا يخفى وجوب جهاد أهلها علينا أيامئذ ولا على أحد ، وأما الكافر الصريح فظاهر وجوب قتاله على جميع المسلمين ، قال تعالى : « وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » الآية . والأمر للوجوب ما دام الشرك موجوداً قال المفسرون فى قوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) معناه أى حتى لا يوجد شرك كذا فى تفسير الجلالين وتفسير الخازن والسراج المنير ومدارك التنزيل للنسفى وتفسير البيضاوى والذهب الإبريز وضياء التأويل ويدل عليه منطوق الآية فى قوله ويكون الدين كله لله وفى قوله حتى تضع الحرب أوزارها فقد أجمعوا على أن معناها حتى لا يوجد إلا مسلم أو مسالم .

وفى الحديث الجهاد ماض فى أمتى إلى قيام الساعة وأما المحارب فلا يخفى أيضا وجوب قتاله وحده أيضا بمجرد الحرابة مع تخليه عن أفعال الكفر فكيف به إذا اجتمعا معا حينئذ فيه فيقاتل على أنه كافر لفعله أفعال الكفر ويقاتل على أنه محارب لقطعه الطرق عن المسلمين .

قال ابن الحاجب فى مختصره الفرعى ويجوز قتالهم باتفاق انتهى .

وفى شرح الأجهورى على المختصر عن ابن شاس فى كتابه الجواهر ولا يسقط الجهاد بالخوف فى الطريق من المتلصصين لأن قتالهم أهم إلى أن قال : وقال ابن شعبان وقطعة الطريق يخيفون السبل أحق بالجهاد من الروم أى لاتصال ضررهم دون الكفار غالبا انتهى .

ونقل ابن ناجى فى شرح الرسالة عن ابن شعبان مثله وفى حاشية البنان على

عبد الباقى الزرقانى عن التوضيح وفى المدونة جهاد المحاربين جهاد وفى العتبية من أعظم الجهاد وأفضله أجراً ولمالك رحمه الله فى أعراب قطعوا الطريق جهادهم أحب إلى من جهاد الروم انتهى .

ومثله فى كبير بهرام على المختصر قائلا وذهب ابن شعبان إلى أن جهاد المحاربين أفضل من جهاد الكفار ونحوه فى العتبية ونقل أشهب عن مالك نحوه قال وظاهر كلام أهل المذهب أنه لا فرق بين قتالهم وبين قتال الكفار انتهى .

وفى مجموع الأمير وليكن الجهاد فى أهم جهة ووجب سد الجميع مع الإمكان وقدم على المحاربين إلا أن يشتد خطرهم عنهم على قاعدة ارتكاب أخف الضررين انتهى .

وفى حاشية البنانى على عبد الباقى : أما حد الحرابة فيثبت بالقليل والكثير قال فى المدونة وحكم المحارب فيما أخذ من المال من قليل أو كثير سواء وإن كان أقل من ربع دينار انتهى بل يثبت حكمها بمجرد الإخافة وإن لم يأخذ شيئا بل بمجرد الخروج لذلك وإن لم تحصل إخافة انظر طفى انتهى كلامه وأصل هذا الكلام للشيخ مصطفى الإمام فى حاشيته على شرح المختصر .

وقال فى آخره وهذا كله مذهب المدونة ففيها : وكذا إن أخذ مكانه ولم يخف انتهى .

وهذا كله على أنه محارب مسلم فقط فأما على أنه كافر لاستحلاله المحرم كهؤلاء المحاربين الذين فى باغن فلا كلام فهذا وماقدمناه وجه قتالنا لأهل باغن مع وجوه أخر فياليت شعرى كيف تصح فى ذهن عاقل بيعة إسلام يدعى صاحبها عمومها لبلاد كفر صميم وظالم عظيم ماجرى على أهلها من حكم هذا المدعى إلا قتالهم إياه ومداراة ضعفائهم له ببعض الأموال وقتله إياهم هذا والله العجب كيف وقد قال البوصيرى .

والدعاوى مالم يقيموا عليها بينات أبنـاؤها أدعياء

وأما المسئلة الثالثة وهى مسئلة توبة كفار أهل سغ له ومبايعتهم إياه فيكفى فى جوابها وجواب المسئلتين قبلها وجواب الوثيقتين المتقدم خبرهما وجواب هذه الوثيقة ما كتب به إلينا أحمد بن أحمد هذا وشيخه الفاهم سليمان فى وثيقته التى قدمت فى سغ ولفظها بعد الحمد لله وتوابعه اعلم أيها الشيخ أنى رأيت تلميذنا أحمد ابن أحمد أن مايستدل به على أن جميع مايقال فى صنبن بيكر وباغن وسنسند ليس

شيء منه دليلا على جواز إرسال الجيوش إليك وليس الخبر كالعيان ، ومن ادعى أن له دليلا على جواز إرسال الجيوش إليك لأجل ما يقال فى صنبن أو لأجل ما يقال فى سنسند أو فى باغن أو فى كرت أو لأجل ما يقال فى سخ فليأتنى بذاك الدليل ولم أر قولا لجواز إرسال الجيوش إليك بسبب واحد من هذه الأقسام الخمسة ولو قولا ضعيفا انتهى مرادنا من هذه الوثيقة .

وكتب أحمد بن أحمد هذا تحت هذه الوثيقة ما نصه :

« أما بعد : فالسلام والإكرام من تلميذ الشيخ سليمان أحمد بن أمير المؤمنين أحمد بن الشيخ أحمد بن محمد إلى الشيخ عمر بن سعيد قائلا له : اعلم أن براوة شيخى هذه هى براوتى والسلام . انتهى ما كتبه أحمد بن أحمد هذا والحق ما شهدت به الأعداء .

وأما وثيقته الرابعة وهى التى قدم بها علينا رسله الموجهون إلينا مع رسلنا فى سنسند فهى بنفسها أكبر الحجج عليه ، وحاصل ما استدل به فيها منقول من كتاب سراج الإخوان للشيخ عثمان بن فودى وكلام إبراهيم اللقانى فى شرحه عمدة المريد وهو كلام صدق وحق مسلم نقله عنه غير واحد ولكن ليس لأحمد بن أحمد هذا حجة فى شيء منه ، بل هو حجة عليه .

ومما استدل به فى الوثيقة حديث : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله » الحديث . وهو حجة عليه لأن قوله أمرت أن أقاتل الناس نص صريح فى أن المقاتل بالكسر الذى قاتل حتى ألجأ الكافر الى الشهادة هو الذى له الكلام مع الكافر المضطر الى الشهادة كرها ، وقوله عصموا منى دماءهم وأموالهم نص على أن الكافر اذا أسلم فإن الذى قاتله هو الذى ينتهى عن قتاله بنفسه لامتثال أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم اذا كان عالما عاملا بعلمه وينهى رعيته عن قتاله اذا بلغ المقاتل غاية جواز قتاله التى دامت فى قوله : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) ، وذلك لا يتأتى ولا يمكن الا بعد حصول الغلبة وفعل ما كنا عليه والحمد لله نفعله اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وهو دخول قاعدة بلاد الكفر استعلاء وإبطالا لأباطيلهم بحضرتهم وكسر أصنامهم وأوثانهم وإعدام جميعها عينا وأثرا وانقيادهم لله وحده فى جميع التصرفات (حتى لا تكون فتنة

ويكون الدين كله لله) . وروى الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول: (جاء الحق وزهق الباطل) وضمير أمرت أن أقاتل الناس وهمزة الثانى وضمير عصموا منى المجرور بمن لا يخفى دلالتها على أحد اذ هى ضمائر متكلم ، والحديث على عمومه وليس فى الحديث ما يدل على أن غير الذى تولى قتالهم من الأجنبيين الأبعدين أن يتولى كلمة بينهم وبين الذى قاتلهم فأحرى أن يكون مرجع الكلام اليه وهذا كله على تسليم أنهم أقروا بكلمة الشهادة وتابوا الى الله وهو تقدير فاسد لم يقع أصلا . ومما استدل به أيضا قوله ويحرم البحث عن سرائرهم وتحريك عقائدهم وهو حجة داحضة وضرب فى حديد بارد لأن ذلك انما يتوجه على من حرك عقائدهم بعد صحتها ظاهراً واتصافهم بالإسلام قبلها والحكم على الشيء فرع تصوره كيف وهم لم يتصفوا أيامئذ بأقل صفة من صفات الإسلام الظاهرة أصلا وأحمد بن أحمد هذا انما خاف من طلب اسلامهم الظاهرى الذى يعصم دم صاحبه وماله لأجل كراهة ظهور إبايتهم فقط وبقية كلام اللقانى وغيره حجة مردودة إليه ويا سبحان الله كيف يطلب من يدعى الإسلام عصمة دماء المشركين وأموالهم وأعراضهم ، ويحتج لها بالأحاديث ويهدر ويبيح دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم من غير موجب ولا شيء ، وقد ورد إخراج واحد من المسلمين من الإسلام أعظم من إدخال ألف كافر فيه هذا والله العجب ، وقد علم بين جميع طوائف المسلمين عدم عصمة دم الكافر وعرضه وماله بالإجماع حتى يدخل فى الإسلام كما أجمعوا كلا على أن أكبر الكبائر بعد الشرك بالله قتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وحرمة مال وعرض المسلم أظهر ولكنه قال تعالى : (وكذلك زينا لكل أمة عملهم) لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وأما الوثيقة الخامسة : فهى التى وجه إلينا وقدمت علينا بعد اختلاط جيشه بجيش المشركين وإقامتهم متفقين على شاطىء البحر ونحن فى سنسند ، وبعد تجهيزه جيوشه إلينا على شاطىء البحر التى نحن عليه أيام ظن تمام ملكه ، ولو كان فى ذلك عين هلكه ، فإنها خالية من أمر المشركين إلا ما ذكر فى آخرها وحاصل ما فيها أمران أحدهما أمره لنا بالدخول تحت بيعته ، أو رجوعنا عن بلدة الشرك بعد ما هدمها الله على أيدينا ولم يبق منها إلا قاعدتها فقط وثانيهما إعلامه إيانا بأنا إن لم نقبل

أحد الأمرين المتقدمين فليس بيننا وبينه إلا القتال ، وصرح بهذا فى قوله وإذا أتاك كتابى هذا فاختر لنفسك إحدى الخصلتين إما الدخول تحت بيعتنا كما هو الواجب عليك إذ لا يجوز التعدد فى العصر الواحد فى البلد الواحد أو فى البلاد المتقاربة إجماعا الى آخر كلامه فى هذا المنوال الى أن قال وإما أن ترحل عن تلك البلاد وتتوجه الى أعداء الله فإنه أولى بك من إثارة الفتنة ثم استدل بأحاديث واردة فى الفتن بين المسلمين الى أن قال وان اخترت ما أنت عليه من إرادة تفريق الكلمة امتثلنا فيك أمره صلى الله عليه وسلم بقتال مثلك فى الحديث المتقدم بقوله (فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق بين أمة محمد صلى الله عليه وسلم كائنا من كان فاقتلوه) الحديث الى أن قال فإنا إن قاتلناك لم نقاتلك عن هوى منا وانما نقاتلك اتباعا لأمر نبينا الى أن قال ثم اعلم أنك ان لم تفعل إحدى الخلتين المذكورتين فليس بيننا الا القتال الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم به الى آخر كلامه وغير هذا من هذه الوثيقة لا طائل تحته . مثل قوله أولها موجبه اليك اعلامك بأن بقاءك على ما أنت عليه من إرادة تفريق كلمة الإسلام محرم بالإجماع ومثله قوله فى آخرها وليس مقتضى الكلام من هذه الوثيقة أن نتلاحى ولا أن نتهاجى الخ أما ادعاؤه وجوب دخولنا تحت بيعته فيكفى فى جوابه عنه ما أجابه شيخه أحمد البكاى لما طلب منه البيعة فأجابه بقوله لا أبايعك لأنك لست من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وبقوله لا والله لا أقبل أن تجرى على ولا على من معى أحكام مولانا الشريف عبد الرحمن ولا السلطان التركى عبد المجيد فكيف أحكام السودانى الفلانى أحمد بن أحمد قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجينا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) وبقوله وأما أنا فلا أرضى بك الا تلميذاً لى والا فصديقا لى حبيبا أو عدوا أجنبيا فكيف اقتدى بك وقد ذم الكفار من بنابر ابن عمك بالبعة بذلك فلم يرضه له الكفار فكيف أرضاه أنا لنفسى ، انما اقتدى بولى عالم عامل كامل قطب كأبى وجدى والا فلا وبقوله وأما التزام أحكامك فالنار دونه والعار وشجونه والموت وشئونه ولو كنت الإمام عبد القادر الفتاوى فى سنه وفنه لم أفعل فكيف وأنت يا أحمد بن أحمد فلا تطمع فى هذا منى أما ترى أنكم إلى الآن لم تملكوا غير الفلان فى هذا الزمان وبقوله ثم اعلم أنك لم تعرض على

أحكامك طمعا بذلك منى ولكن وقاحة منك وسفاهة وقلة مبالاة بما ينتج لك ذلك من كلامى وملامى فأعاملك ببعض خلاف مقصودك فأسكت عنك احتراما لجدودك وأنشد لك ما قال بعض صعاليك العرب .

وإنما النـــاس بالملوك ولا تفلح عرب ملوكها عجم
إذ لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهـــود لهم ولا ذمم

وبقوله ولعمرى لا أعلم أمرا من الدنيا والآخرة يضطرنى على ما طلبت منى إلا أن أعلم أنى لا أدخل الجنة ولا أنجو من النار . إلى باتباعك . إلى أن قال فكل شر خير من اتباعك وكل خير فى شر اتباعك إذ تعزل الكبراء وتولى الصغراء وتبعد الفقهاء وتقرب السفهاء وتكبر الأبناء وتصغر الآباء وتعز أولاد البغايا وتذل أولاد المزايا وكيف أكون فى أحكامك ومن فيها يكرهها وبقوله لا أتبع ولاتجرى على أحكام قوم عجم الألسنة غلف القلوب يدعى فيهم المدعى أنه يكلم الله تعالى ولا يكذبونه ويدعى لهم المدعى أن فيهم المهدى موجودا فيصدقونه ويقول لهم القائل إن ثانى عشر الخلفاء من قريش فيهم فيعتقدونه . فهم كبنت عشرين لا عقل ولا دين . وأيضا لو قبلت لنفسى وأعاذنى الله منه لأباه الشرع على فكيف أفعل ممنوعا فى شرعى مكروها إلى طبعى وأيضا لا يجوز لأحد من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يبايع من ليس من أمته إلى آخر كلامه ثم قال والحاصل أن أمر الوفاق منوط بترك أحكامكم وطرح كلامكم ونبذ مرامكم من حلالكم وحرامكم فهموه لإمامكم فإنه لايفهم غير كلامكم انتهى المراد من كلامه فلينظره المنصف فى رسالته إليه ويكفى فى جوابه أيضا عن هذا الكلام ما ذكره بنفسه فى وثيقته الثانية مما قدمناه من قوله فإن خلع الإمام نفسه حرام إجماعا فظهر جوابه بكلامه وكلام شيخه أحمد البكاى وسيأتى له جواب عن هذه المسئلة بكلامه هو بنفسه أيضا وكلام شيخه الثانى الفاهم سليمان واحتجاجه بكلام اللقانى لا يجوز تعدد الأمام فى البلد الواحد إلى آخره لا ينهض له حجة لأنه طلب من كفاره من أهل سغ ذلك قبل جهادنا إياهم فأعياه كيف وبلد سغ بلد مستقل وليس هو ولا غيره من البلاد مما يضاف الى بلده والأولى أن يكون استدلاله بهذه الوثيقة وهذا الكلام متوجها الى أهل حَوْسَ لأنه ليس بين بلادهم وبلاده الا أقل من

يوم ولكنه لا يقدر على مخاطبتهم بذلك وأما بلاد سخ فهى بلاد واسعة مستقلة .

وأما ادعاؤه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتالنا فذكره إياه فى وثيقته هذه مرتين ما أفاد الا ظهور استحلاله قتالنا واستحلال قتال المسلم كفر مع زيادة كفر ثان وهو كذبه على سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بإباحته قتال المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وأما أحاديثه فى القتال بين المسلمين فكلها حجج عليه لأنها إنما تتوجه على من طلب ذلك لا على من طلب منه ذلك ولا على من قاتل المشركين أنطقه بها من يعلم السر وأخفى .

وإن لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لدليل

ثم ان قوله فى آخر الوثيقة إلحاق ، ثم اعلم أن البنابرة تابوا الى الله تعالى وكسروا الأصنام وبنوا المساجد وهذا مطلوب الله منهم وهو الذى أمرنا أن نقاتلهم لأجله كما هو معلوم والسلام . إخبار كاذب بكذب قام الدليل على نفيه ، فهذه أصنامهم موجودة والحمد لله إقامة لبيان هذه الكذبة وهذه بلادهم بقيت لله ولرسوله وللمؤمنين وليس فيها مسجد ، وأما مطلوب الله منه فقد بينه فى كتابه وأعمى الله عنه هذا الكتاب والمخاطب لو تعمد تركه وهو ظاهر لغيره من المسلمين هذا مع أنه يكفى فيه وفى جميع ما كتب به الينا من أول الأمر الى آخر ما كتب به أحمد بن أحمد هذا وشيخه الفاهم سليمان فى ثيقتهما الأخيرة التى وجهوها إلينا فى سخ وأولها : إنه سلام تام من ابن المعروف بالشيخ ساج الذى سماه أبوه سليمان الى شيخ عمر بن سعيد ، ثم اعلم أيها الشيخ أن الوثيقة الأخيرة المتوجهة اليك لا يخفى على الطفيلى مثلى أن مافى تلك الوثيقة ليس حجة عليك كيف يستدل بما فى الوثيقة على نفى قوم فتحوا من سخ ما فتحوا عنوة وطمعوا فى استئصال الباقى بل موه فى سخ وغيرها تمويها لا حقيقة لها ثم ذكر بقيتها كما ذكرنا فى خاتمة الكلام على جواب وثيقته الثالثة. وكتب أحمد بن أحمد هذا تحت هذه الوثيقة ما نصه: أما بعد ، فالسلام والإكرام من تلميذ الشيخ سليمان أحمد بن أمير المؤمنين أحمد بن الشيخ أحمد بن محمد إلى الشيخ عمر بن سعيد قائلا له اعلم أن براوة شيخى هذه هى براوتى والسلام أقر الخصم بفارتفع النزاع والحق ما شهدت به الأعداء وإذا تأملت هذه الوثيقة علمت أن أحمد بن أحمد هذا أقر على نفسه بكذبه فى جميع أما رسل به وفى جميع ما كان يدعى علينا وفيما يحتج به علينا من أول الأمر الى

آخره فحصل رد كلامه برد كلامه وكذب مرامه بالرجوع عن مرامه والإقرار على نفسه بفساد أعماله وأفعاله بنفسه والحمد لله رب العالمين .

المقام الثانى فى بيان حقيقته هو وبيان السبب الذى أوقعه فى حربنا حتى جره إلى تجهيز الجيوش إلينا وإباحة دمائنا وأعراضنا وأموالنا واستحلاله ذلك وبيان ما ورد فيما هنالك قال الشاعر :

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

اعلم أيها الناظر المنصف أن أحمد بن أحمد هذا خالف فينا ماأمر الله به أولياءه المؤمنين وجانب فى جميع أحواله معنا سلف الصالحين المتقين من المسلمين وقد تبين بما قدمناه فى المقدمة كيفية ابتداء الواقع بيننا من أول الأمر إلى آخره ، فكان ينبغى لنا منذ أقامنا الله بجهاد أعدائه من المشركين أسبابا تجره إلى محاربتنا وأحوالا تصده عن مقاربتنا فطلب لها موجبا فى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يره فخلع ربقتها وامتطى ذروة سبيل الكفر فحاربنا واستحل محارم الله فى جنابنا وواخى أعداء الله وأعداء جميع المسلمين وأعداءنا نحن وأعداءه هو وأعداء آبائه وتولاهم ونصرهم وحماهم منا وخفرهم وقد علم عند العقلاء أن الأصدقاء ثلاثة الصديق وصديق الصديق وعدو العدو ، كما أن الأعداء ثلاثة العدو وصديق العدو وعدو الصديق وجره ذلك إلى تجهيز الجيوش إلى المسلمين المجاهدين أعداء الله من المجرمين فاختلطت جيوشه بجيوشهم وخيله بخيلهم ورجله برجلهم صيانة وتقوية وإعلاء للمشركين من أعداء الله وتوهينا وتضعيفا لأهل الإسلام وكلمة لا إله إلا الله فها نحن أولاء نبين لك كيفية خلعه ربقة الإسلام عن عنقه أصلا ورأسا بكلام الله ورسوله والتابعين من أمته نوعا نوعا وجنسا جنسا فنقول :

أما ما ورد فى وجوب موالاة المسلمين فاعلم أنه يجب على كل متدين بدين الله عامل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم موالاة المسلمين ونصرتهم ومظاهرتهم على عدوهم من المشركين كتابا وسنة وإجماعا .

أما الكتاب فقوله تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات) قال المفسرون الولى الناصر والمعين وقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

قال فى السراج المنير (حبل الله) دينه وهو دين الإسلام (ولا تفرقوا) أى ولاتتفرقوا بعد الإسلام بوقوع الاختلاف بينكم كأهل الكتاب وكما كنتم متفرقين فى الجاهلية متدابرين يعادى بعضكم بعضا ويحاربه انتهى .

وقوله تعالى (والله ولى المؤمنين) أى ناصرهم قال أهل الإشارات فى هذه الآية دليـــل على وجوب تولى المؤمنين فإذا قال الملك أنا ولى فلان فلا شك أن من عاداه حاربه الملك وأن من أراد اتباع الملك يتولى ذلك الذى تولاه الملك لاسيما الملك الحق فيجب علينا تولى من والاه ومعاداة من عاداه انتهى .

وقوله تعالى (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله ، والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) قال فى السراج المنير عند هذه الآية إنما قال وليكم الله وكذا رسوله والمؤمنون ولم يقل أولياؤكم للتنبيه على أن الولاية لله تعالى على الأصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبعية إذ التقدير إنما وليكم الله وكذا رسوله والمؤمنون ولو قيل إنما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع وقال فى قوله (ومن يتول الله ورسوله) الآية أى ومن يتخذهم أولياء وقيل من يعينهم وينصرهم وقال فى قوله فإن حزب الله هم الغالبون ووضع الظاهر موضع المضمر إظهار لماشرفهم به وترغيبا لهم فى ولايته وتشريفا لهم بهذا الاسم فكأنه قيل ومن يتولى هؤلاء فهم حزب وحزب الله هم الغالبون وتعريضا بمن يوالى غير هؤلاء بأنهم حزب الشيطان أى طائفته انتهى ونحوه للبيضاوى .

وفى لباب التأويل بعد عد أقوال فى سبب نزول هذه الآية ما نصه وقيل الآية عامة فى جميع المؤمنين لأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض فعلى هذا يكون قوله الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة . . . الخ صفة كل مؤمن إلى أن قال والقول بالعموم أولى قال ويدل عليه ما روى عن عبـــد الملك بن سليمان قال سألت أبا جعفر محمد بن على الباقر عن هذه الآية (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) من هم فقال المؤمنون فقلت إن ناسا يقولون هو على بن أبى طالب فقال فعلى من الذين آمنوا انتهى ،

وقوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) قال فى السراج المنير بعضهم أولياء بعض فى الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة وقوله تعالى

(فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) قال المفسرون وأصلحوا الحال فيما بينكم بالمودة وترك النزاع وأطيعوا الله ورسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه إن كنتم مؤمنين حقا فإن الإيمان يقتضي ذلك وتأمل قوله إن كنتم مؤمنين يظهر لك أن من شرط كمال الإيمان الحقيقي إصلاح ذات البين وهي واجبة قطعا وقوله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم قال أهل الإشارات نهى المؤمنين عن النزاع وأوجب عليهم مفهوم النهي وهو وجوب الاتفاق والموالاة إذ النزاع لا ينبغي أن يكون إلا بين مختلفين في الأصل والمؤمنون كلهم متفقون في الأصل وهو الإسلام فمن نازع في بعض فروعه خيف عليه فكلمة المسلمين واحدة وكلمة المشركين واحدة فلا يجوز أن يتصور النزاع إلا بين مختلفين في الأصل انتهى .

وقوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وهذه الآية مؤكدة لما قبلها قال المفسرون أمر الله عز وجل هذه الأمة ومن تقدمها بإقامة الدين فأمرنا بإقامة دين الإسلام بالاجتماع والاتفاق ثم اتبعه بمفهومه وصرح به فنهانا عن الافتراق وامتثال الأمرين بفعل الأول وترك الثاني مما أوجب علينا وقوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) الآية قال في السراج المنير في تقرير الآية إنما المؤمنون أي كلهم وإن تباعدت أنسابهم وبلادهم إخوة أي في الدين لانتسابهم إلى أصل واحد وهو الإيمان إلى أن قال وعن أبي عثمان الحريري إن أخوة الدين أثبت من أخوة النسب فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين وأخوة الدين لاتنقطع بمخالفة النسب انتهى .

وهذه الآية من التي قبلها أشد في جهة الاتفاق وأحض على ترك الافتراق فانظر كيف كرر ربنا عز وجل فيها قوله فأصلحوا حيث قال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) ثم قال (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل) ثم قال (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) فكرر الأمر بالإصلاح ثلاث مرات في موضع واحد وذلك كله لشدة اعتنائه بعباده ومحبته اجتماعهم وكراهته اختلافهم ولا يخفى أن الأمر للوجوب وهو صريح في وجوب موالاة المسلمين .

وأما السنة فيكفي منها حديث « المسلم أخو المسلم » أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم عن عقبة بن عامر وحديث « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » أي لمن يظلمه

أخرجه الشيخان وأحمد والنسائى عن ابن عمرو وحديث « المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر ويتعاونان على الفتان » أخرجه أبو داود عن صفية وحديث «المسلم أخو المسلم لا يخزيه ولا يخذله ولا يكذبه كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى هاهنا وأشار إلى القلب بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » أخرجه الترمذى عن أبى هريرة وحديث « المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم » أخرجه أبو داود وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص والنسائى والحاكم عن على وحديث « المؤمن أخو المؤمن أخرجه» مسلم عن عقبة بن عامر وحديث «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه» أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك وحديث « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» أخرجه البخارى عن النعمان بن بشير قال ابن أبى جمرة قوله فى تراحمهم معناه أن الرحمة التى جعلت فى قلوب المؤمنين بعضهم لبعض هى من أجل أخوة الإيمان لا لولوع ولا لاحسان ولا لشىء خالف الإيمان هذا هو أصلها إلى أن قال وتوادهم كناية عن التواصل بينهم واستعمالهم أسبابه وأصله أيضا الإيمان قال وأما التعاطف فهو تقوية بعضهم لبعض كما يعطف طرف الثوب عليه وهو من باب قوله وتعاونوا على البر والتقوى فإن أصل الإيمان هو الذى عطف قلوب بعضهم على بعض انتهى .

وأما الإجماع فقد اتفق أهل السنة رضى الله عنهم على وجوب موالاة المؤمنين قال ابن أبى زيد فى رسالته وعلى المؤمن أن يستغفر لأبويه المؤمنين وعليه موالاة المؤمنين والنصيحة لهم قال شارحها النفراوى فى الفواكه الدوانى المراد بموالاتهم الاجتماع عليهم وإظهار المحبة لهم واجتناب ما يوجب المنافرة من الغل والحسد بينهم إلى أن قال ومفهوم المؤمنين أن الكفار لا تجوز موالاتهم بالمعنى المذكور بل يعتقدون بالسوء ويقاتلون إن كانوا حربيين وإن كانوا من أهل الذمة فلا يتعرض لهم إلا بقدر الحاجة لحرمة إذاية الذمى انتهى .

فإذا ظهر لك وجوب موالاة المسلمين علمت أن أحمد بن أحمد هذا نبذ هذا الوجوب وراءه ظهريا واتخذه نسيا منسيا وجعل من دونه وقاية ما كان تحريمه والتكفير

به جليا وهو موالاة الكفار على المسلمين ليوهن المسلمين ويقوى المجرمين فأما تولية الكفار فأمر ظاهر لايخفى على أحد قال الشاعر .

وليس يصح فى الأذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

وقد علمت أن ترك موالاة المسلمين معصية كبيرة وخذلان للشريعة فياليت أحمد بن أحمد هذا اقتصر على هذه المعصية وكفى بها بلية وسلم من الوقوع فى موالاة الكفار التى تحبط العمل وتزيل الإسلام من أصله ولكنه لم يكفه هذا حتى تجرأ على الله ورسوله ليصد عن سبيله ويمنع المشركين على ماهم عليه من شركهم ويحصهم من المؤمنين فخالطهم بجيشه واتخذ لمن معه من المؤمنين سبيلا بين الحق والباطل فغرهم عن دينهم بفحشه وغشه قال الشاعر :

ومن بنيات الطريق يخشى   صار ضلالا أو هلاكا يغشى

فلبس على الأعين فأعماها وأشاع الكذب بتوبة الكفار وأسماها ولكن الله يحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون .

وأما ماورد فى موالاة الكفار من النهى والتكفير لمن فعل ذلك من أهل العناد والبغى فبين لا يخفى فاعلم أن الله سبحانه نهانا نحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن الكفر ابتداء وعن أن نتولى نوعا من أهل الكفر ولم يستثن جنسا منهم ولا نوعا وأخبرنا بأن من تولى كافرا فإنه كافر ومن انكر كفر من تولاهم فإنه كافر لتكذيبه نص القرآن ومن اعتقد بقلبه أونطق بلسانه بأن على بن منز وجميع أتباعه من أهل سغ أيامنا فى سنسند وقبل دخولنا مدينة سغ سيكر مسلمون فإنه كافر لأنه جعل الشرك إسلاما وجعل المشركين مسلمين هذا كله لا خلاف فيه بين المسلمين كلهم أجمعين قال الله عز وجل (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ) الآية قال البيضاوى فى أسرار التنزيل نهوا يعنى المؤمنين عن موالاتهم لقرابة أو صداقة جاهلية ونحوهما حتى لايكون حبهم وبغضهم إلا فى الله وقوله دون المؤمنين إشارة إلى أنهم الأحقاء بالموالاة وأن فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفر وقوله فليس من الله فى شئ أى من ولايته فى شئ يصح أن يسمى ولاية انتهى .

وفى السراج المنير نحوه وقال فى قوله فليس من الله فى شئ أى فى شئ من

ولايته الله فإن ولاية المتماديين لا تمكن لأنهما لا يجتمعان لما بينهما من التضاد كما قال القائل :

فليس أخي من ودني رأى أعيني ولكن أخي من ودني في المغائب

تود عدوي ثم تزعم أنني صديقكم ليس النوك عنك بعازب

أي بغائب والنوك الحمق ثم قال عز وجل (إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال إلا أن تخافوا منهم مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب قال وهذا قبل عزة الإسلام يجري في بلدة ليس الإسلام فيها قويا قال معاذ بن جبل ومجاهد كانت التقية في بدء الإسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين وأما اليوم فقد أعز الله الإسلام فليس ينبغي لأهل الإسلام أن يتقوا من عدوهم انتهى .

وفي لباب التأويل في معنى الآية (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) يعني أنصاراً وأعوانا من دون المؤمنين يعني من غير المؤمنين والمعنى لا يجعل المؤمن من ولايته شيئا لمؤمن هو غير مؤمن ومن يفعل ذلك يعني موالاة الكفار من نقل الأخبار إليهم وإظهار عورة المسلمين لهم أو يودهم ويحبهم فليس من الله في شيء أي فليس من دين الله في شيء وهذا أمر معقول من ولاية الموالاة لأن من ولاية الموالاة معاداة أعدائه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان ثم قال : والتقية المذكورة لا تكون إلا مع خوف القتل من سلامة النية قال الله تعالى : (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) ثم ذكر نحو ما قدمنا إلى أن قال : قال يحيى بن البكاي لسعيد بن جبير في أيام الحجاج إن الحسن يقول . التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان فقال سعيد ليس في الإسلام تقية إنما التقية في الحرب وقيل إنما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لأن دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الإمكان انتهى :

وقال البيضاوي نهي عن موالاتهم ظاهراً وباطنا في الأوقات كلها إلا وقت المخافة فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز انتهى .

قال في اللباب من غير أن يستحل دما حراما أو يظهرهم على عورات المسلمين أو غير ذلك من المحرمات ثم قال الله عز وجل (ويحذركم الله نفسه) ومعناه يخوفكم الله أن يغضب عليكم إن واليتموهم وفيه إعلام بأن عذاب من تولى كافرا لا يصدر

إلا من ذاته تعالى فلا يبالى بعذاب يصدر من غيره حينئذ ثم قال وإلى الله المصير وفيه إعلام بأن الذى تولى كافرا لو كان عالما بأنه لا مرجع له إلا إلى الله لما تولى أعداءه وفيه تهديد عظيم ثم قال الله عز وجل : (قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله) الخ قال البيضاوى أى يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها إن تخفوها انتهى .

وفى السراج المنير فى شرح الآية وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لأن نفسه متصفة بعلم ذاتى يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات بأسرها فلا تعصوه إذ ما من معصية إلا هو مطلع عليها لا محالة قادر على العقاب بها ولو علم بعض عبيد السلطان أنه أراد الإطلاع على أحواله بأن يوكل من يتجسس على بواطن أموره لأخذ حذره منه كل الحذر فما بال من علم أن العالم الذى يعلم السر وأخفى مهيمن عليه وهو آمن انتهى .

وفى هذه الآية تهديد عظيم من الله لعباده ليخافوه كل الخوف ولا يتولوا أعداءه ومن علم أن ملكا من المخلوقين قادر على تعذيب من يراه ويعلم ما يفعله فإنه لا يتجاسر على مخالطة أعدائه فكيف بالملك القديم .

واعلم أنه تعالى ما حذر من نفسه فى كتابه العظيم تصريحا إلا فى هذا الموضع كررها مرتين للتأكيد قال البيضاوى فى قوله (ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) كررها للتأكيد والتذكير انتهى .

وفى السراج المنير بعد نقله عنه هذا ما نصه : وقال التفتازانى أحسن ما قيل إنما ذكره أولا للمنع من موالاة الكافرين وثانيا للحث على عمل الخير والمنع عن عمل الشر وقوله والله رءوف بالعباد إشارة إلى أنه تعالى إنما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم انتهى .

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا) الآيات قال البيضاوى بطانة أى وليجة وهو الذى يعرف الرجل أسراره ثقة منه وقوله من دونكم أى من دون المسلمين وقوله قد بينا لكم الآيات أى الدالة على وجوب الإخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين انتهى المراد منه .

ومثله فى السراج المنير وفى اللبـــاب للخازن بعد ذكر أقوال فى سبب نزول الآية ما نصه : وقيل المراد بهذه جميع أصناف الكفار ويدل على صحة هذا

القول معنى الآية لأن الله قال (لاتتخذوا بطانة من دونكم) فمنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة غير المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار انتهى .

وقال تعالى (فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) إلى قوله (فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيراً) وفى قوله تعالى (ودوا لو تكفرون كما كفروا) الخ إعلام بأنهم لايريدون بمن تولاهم إلا أن يصيروهم مثلهم فى الكفر كما بينه عز وجل بقوله (ودوا لو تدهن فيدهنون) بقوله (ولا يزال الذين كفروا يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) وفى السراج المنير فى تقرير الآية فما لكم صرتم فى المنافقين أى فى أمرهم فيئتين أى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم إلى أن قال ولا تتخذوا منهم وليا توالونه ولا نصيراً تنتصرون به على عدوكم بل جانبوهم مجانبة كلية انتهى .

وقال تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) وفى هذه الآية إعلام بأن الذى تولى الكافرين من دون المؤمنين لا ينال ما رام لأنه ما فعل الموالاة إلا لابتغاء العزة منهم ليس غير خاب لأنه طلب العزة بمن ليست له لأنه فى نفسه ذليل فكيف ينيل غيره العزة لأن الله عز وجل كتب العزة لأوليائه لا لأعدائه فلا يتعزز إلا من أعزه قال (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وقال تعالى (إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم) الآية ، ولا شك أن هؤلاء الذين ذكرهم ربنا مع شهادته عليهم بالنفاق والكفر أحسن حالا وأنصف مقالا من أحمد بن أحمد هذا الذى خذلنا ونحن فى جامن وهو يومئذ بيننا وبين سنسند مشتغل فى مولاة أعداء الله ثم رجع إلى بيته وترك بيننا وبينهم حتى فتح الله على أيدينا جميع سغ ثم بعث رسله إلينا يقول ما يقول لأن هؤلاء قالوا للمؤمنين الذين فتح الله البلاد على أيدهم ألم نكن معكم بالإقرار على أنفسهم بأنهم معهم والإقرار على أنفسهم بأنهم كفار بمنعهم الكافرين من المؤمنين : وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) .

قال المفسرون أى حجة بينة بأن موالاتهم دليل على النفاق والكفر وفى السراج المنير أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا بموالاتهم أى دليلا على كفركم باتباعكم سبيلا غير سبيل المؤمنين مبينا واضحا على نفاقكم انتهى فانظر إلى هذه الآية كيف نص مولانا على أن من تولى الكافرين فإنه جعل لله على نفسه سلطانا مبينا حيث صير نفسه من الكافرين فلا يبقى بينه وبين كل مسلم إلا ما يكون بين أحباء الله وبين أعداء الله وقال تعالى أيضا (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) الآيت أخبرنا الله عز وجل وأعلمنا نحن المسلمين أن أعداءنا وأعداءه من الكفار ما اختلفوا فى إضرار المسلمين وإنما هم متفقون على معاداة أحباء الله فكيف يختلف أحباء الله ويتولى بعضهم أعداء الله وأعداءهم والأعداء كلهم متفقون على عداوة المسلمين ، فلا يتولى محب عدوه وعدو حبيبه أبداً ، ويوقع الخلاف بينه وبين الأحباء فإذا فعل فليس منهم بل من الأعداء والمستند للجيش كهو ، وبينه بقوله (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) قال البيضاوى (بعضهم أولياء بعض) فيه إيماء إلى علة النهى فإنهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مقاتلتكم (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) أى ومن والاهم منكم فإنه من جملتهم .

وقوله (إن الله لا يهدى القوم الظالمين) أى الذين ظلموا أنفسهم بموالاة الكفار ، أو المؤمنين بموالاة أعدائهم انتهى .

وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) قال فى السراج المنير لا تتخذوهم أولياء فإن الفريقين اجتمعا على حسدكم وازدرائكم فلا تصح لكم موالاتهم انتهى .

وفى قوله تعالى واتقوا الله الخ إشارة إلى أن من كان كامل الإيمان فليتق الله أى يخف منه بترك موالاة أعدائه وقال تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) الآيتين وقال المفسرون ضمير منهم يرجع إلى أهل الكتاب وأفهمت الآية .

أن من تولى الكفار فقد حبط عمله وكفر إذ لا خلود فى النار إلا للكافر ، وهو ظاهر من قوله ولو كانوا يؤمنون بالله الخ . إذ فيه نفى الإيمان الذى يدعون لأن الاتصاف بالإيمان يأبى موالاة الكفار ، فالإيمان والكفر ضدان لا يجتمعان وقال تعالى أيضا (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) وفى تفسير الجلالين ، إلا تفعلوه : أى تولى المؤمنين وقطع الكفار ، تكن فتنة فى الأرض بقوة الكفر ، وفساد كبير بضعف الإسلام انتهى .

وفى السراج المنير وفى للبيضاوى إلا تفعلوه أى ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم بعضا وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة فى الأرض تحصل فتنة فيها عظيمة ، وهو ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد كبير فى الدين وفى اللباب والذهب الإبريز وضياء التأويل نحوه . وقال تعالى أيضا (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) الآية . قال فى السراج المنير الوليجة كالدخيلة وهى البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون إليهم أسرارهم وقال قتادة : هى الخيانة وقال عطاء هى الولاية والله خبير بما تعملون أى من موالاة المشركين وغيرهم فيجازيكم عليه انتهى ونحوه فى غيره من كتب التفسير .

وقال تعالى أيضا (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) فانظر كيف نهى الله عن موالاة أقرب القرباء الإخوان والآباء إن كانوا كافرين . فلا يوجد أقرب منهم ، وإذا كان هذا فى أقرب القرابة فما بالك به فى أبعد الأبعدين. وهذا النهى عام لا يختص بمن ذكر بل ذكر الآباء والإخوان تمثيل لمن كان أقرب فالأبعد من باب الأحروية ، ولو كانت الآية خاصة بقوم فالصحيح عمومها ، بدليل ما قدمنا قبلها من الآيات وما سيأتى بعده. وتقدم أن نسب الدين أعظم من نسب الطين وقال تعالى أيضا (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) وقال فى ضياء التأويل لا تميلوا أدنى ميل إلى الذين ظلموا بالكفر والمعاصى بموادتهم ومداهنتهم إلى أن قال وقال

القسطلانى من استعان بظالم فكأنه رضى بعمله إلى أن قال قال فى غاية الأمانى أى لا يميلوا أدنى ميل إلى من وجد منه أدنى ظلم فهذا غاية التحذير . وإذا كان الركون الذى هو ميل يسير إلى من وجد منه أدنى ظلم مخلا بالاستقامة فكيف بالميل التام . ثم الظلم الكامل ثم الانهماك فيه انتهى وقوله (وما لكم من دون الله من أولياء يحفظونكم منه ثم لا تنصرون) أى تمنعون من عذابه انتهى .

وفى السراج المنير ونحوه وفى اللباب فيه وعيد شديد لمن ركن إلى الظلمة ورضى بأعمالهم وأحبهم فكيف حال الظلمة فى أنفسهم انتهى والآية عامة فى جميع من اتصف بالظلم من أهل الإسلام وغيرهم فكيف إذا كان الركون إلى أظلم الظالمين وهم الكفار أعداء الله عبدة الأوثان فالنهى عام والمنهى عنه عام أيضا انتهى .

وقال البيضاوى « فتمسكم النار » أى بركونكم إليهم وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنكم بالركون إلى الظالمين أى الموسومين بالظلم ثم بالميل إليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ ما يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد عليه وقوله (ثم لا تنصرون) أى ثم لا ينصركم الله وثم لاستبعاد نصره إياهم وقد أوعدهم العذاب عليه وأوجبه لهم انتهى .

وقال تعالى أيضا (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم) الآية قال فى السراج المنير فى تفسير الآية يوادون أى يحصل منهم ود لا ظاهراً ولا باطنا . وقوله من حاد الله أى عاداه ورسوله فإن من حاده فقد حاد الذى أرسله بل لا تجدهم إلا يحادونهم لأنهم يوادونهم وزاد ذلك تأكيداً بقوله (ولو كانوا آباءهم) أى الذين أوجب الله تعالى على الأبناء طاعتهم فى المعروف وأبناءهم أى الذين جبلوا على محبتهم ورحمتهم أو إخوانهم الذين هم أعضادهم أو عشيرتهم أى الذين هم أنصارهم وأمدادهم . ثم قال قدم الآباء أولا لوجوب طاعتهم على أولادهم ثم ثنا بالأبناء لأنهم أعلق بالقلوب وهم حياتها ثم ثلث بالإخوان لأنهم هم الناصرون بمنزلة العضد من الذراع ثم ربع بالعشيرة لأن بها يستغاث وعليها يعتمد . والمعنى أن

الميل إلى هؤلاء أعظم أنواع المحبة ومع هذا فيجب أن يكون هذا الميل مطروحا بسبب الدين .

ثم قال القرطبي قال استدل مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال القرطبي وفى معنى أهل القدرية جميع أهل الظلم وعن عبد العزيز بن أبى رواح أنه لقى المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلى الآية وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندى نعمة فإنى وجدت فيما أوحى إلى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) الآية انتهى .

وفى لباب التأويل عند هذه الآية أخبر الله تعالى أن إيمان المؤمنين يفسد بموالاة الكافرين ، وأن من كان مؤمنا لا يوالى من كفر لأن من أحب أحداً امتنع أن يحب عدوه انتهى المراد منه ، وفى ضياء التأويل عند ذكر هذه الآية والمعنى لا ينبغى الوجدان وإنما عبر عنه بالوجدان مبالغة فإن الواقع عدم الابتغاء لا الوجدان قاله فى غاية الأمانى ومثله فى البيضاوى وقال فى الجواهر هذه الآية نفت أن يوجد من يؤمن بالله حق الإيمان ويلتزم شعبه على الكمال يواد كافرا انتهى.

وقال تعالى أيضا (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالموده) الآيات انظر كيف بين ربنا تعالى فى هذه الآية من أن تولى الكفار فقد ضل سواء السبيل . وبين أيضا أن الكفار الذين تولاهم لا تصيرهم موالاته إياهم أحباءه وصرح سبحانه بأنهم يبسطون إليه أيديهم بالقتال والأسر وغيرهما من المضار وألسنتهم بالذم وغيره وصرح بأنهم لا يريدون ممن تولاهم إلا أن يصيروهم مثلهم فى الكفر كما هو مشاهد قال فى السراج المنير لا تتخذوا عدوى وأنتم تدعون موالاتى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة أى بسببها : قال القرطبي تلقون إليهم بالمودة أى بالظاهر إلى أن قال تسرون إليهم بالمودة أى توجدون جميع ما يدل على مناصحتكم والتودد إليهم بالمودة أى بسببها بدلا من تلقون قاله ابن عطيه قال بن عادل ويشبه أن يكون بدل اشتمال لأن إلقاء المودة يكون سراً وجهراً أو استئنافا واقتصر عليه الزمخشرى قال وهذه الاية نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه ، وذلك أنه كتب إلى أهل مكة كتابا مع مرأة أيام غزوة الفتح وأعطاها عشرة دنانير وكساها ، واستحملها الكتاب، ونسخته من حاطب بن أبى بلتعة

إلى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم ، فخذوا حذركم ، وقد توجه إليكم بجيش كالليل ، وأقسم بالله لولم يسر إليكم إلا وحده لأظفره الله بكم ، وأنجز له وعده فيكم فالله وليه وناصره فذهبت المرأة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إثرها فظفروا بالكتاب بعد ما جحدته فلما جيء به إليه استحضر حاطبا وقال له : هل تعرف هذا الكتاب قال : نعم فقال: ماحملك عليه ؟فقال يارسول الله ما كفرت منذ أسلمت وما غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكننى كنت امرءاً ملصقا فى قريش وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى ، فخشيت على أهلى ، فأردت أن أتخذ عندهم يداً ، وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه ، وإن كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره فقال عمر دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال : وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر ، وقال الله ورسوله أعلم .

قال وهذه السورة أصل فى النهى عن موالاة الكفار وتقدم نظيره فى قوله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء) الآية انتهى المراد منه باختصار . ومثله فى اللباب وغيره . فانظر إلى قول سيدنا عمر رضى الله عنه دعنى أضرب عنقه مع تصديق سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لحاطب ونزول الوحى ساعتئذ ، وقس عليه ما هو الواقع بعد ، تعلم أمره عظيما .

وقال تعالى (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين) إلى قوله (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) ، وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) الآيات . . . وهذه الآيات كلها متواطئة على أن من والى المشركين وحماهم ونصرهم وأعانهم على المسلمين فهو كافر مثلهم ، وهذا النهى المذكور المراد به كف النفس عن الفعل كما ذكره الأصوليون انظر شرح جمع الجوامع عند قول ابن السبكى لا تكليف إلا بفعل ، فالمكلف به فى النهى الكف . وقد ذكر السيوطى فى كتاب الأدلة أن الآيات والأحاديث إذ تواطأت على شيء عمم تواطؤها التخصيص الوارد فى بعضها إلا ما انعقد الإجماع عليه بخصوصه انتهى .

وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على ذلك كثير مثل حديث المؤمن والكافر لا تتراءى ناراهما فإن قلت ما معنى الموالاة التي بحثت في أول كلامك عن وجوبها للمؤمنين وذكرت في آخره أنها تحرم أن تكون للمشركين فالجواب إن الموالاة مصدر والى يواليه موالاة بمعنى نصره وظاهره على عدوه وهي على أقسام تجب تلك الأقسام كلها على كل مؤمن في حق أخيه ومنها موالاة الكفار وفيها تفصيله فيحرم منها بعض على المسلمين ويجوز بعض ويباح بعض وتفصيل ذلك ما ذكره الشيخ عثمان بن فودى في كتابه نجم الإخوان في الفصل السابع في بيان سبب القتال الذي وقع بينهم وبين ملكوك حوس حيث قال ومما نكفرهم به موالاتهم الكافرين دون المؤمنين إذ موالاة الكفار على ثلاثة أقسام القسم الأول موالاة هي جائزة وهي مواصلتهم وموالاتهم باللسان دون القلب خوفا منهم وعلى هذه الموالاة معنى قوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة) وقال البيضاوى عند تفسير هذه الآية هذا نهي عن موالاة الكفار ظاهراً وباطنا في الأوقات كلها إلا في وقت المخافة فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز وقال الجلال السيوطي في تكملة تفسيره في بيان معنى هذه الاية إلا أن تخافوهم مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب القسم الثاني موالاة هي معصية وهي مواصلة الكفار وإظهار المودة لهم ليصيب الواصل ما في أيديهم من المال وعلى هذه الموالاة معنى قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) أي اليهود إذ قال البيضاوى أنها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فتبين أن إظهار الموالاة للكفار ومواصلتهم ليصيب الواصل ما بأيديهم من الأموال لا يكون كفراً بل هي معصية القسم الثالث موالاة هي كفر وهي نصرهم على المسلمين وحمايتهم على شيء من تعدى حدود الشريعة وعلى هذه الموالاة معنى قوله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) كما في التكملة تفسير عن عبد الرحمن السيوطي وعلى هذه الموالاة أيضا معنى قوله تعالى (لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) الآية وفي مدارك التنزيل فحكمه حكمهم وعلى هذه الموالاة أيضا معنى قوله تعالى (إلا تفعلوه) أي تولى المؤمنين وقطع الكفار (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) بقوة الكفر

وضعف الإسلام كما فى التكملة للسيوطى وفى تفسير الخازن عند قوله (إلا تفعلوه) وهو أن يتولى المؤمن الكافرين دون المؤمنين (تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) فالفتنة فى الأرض هى قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين وعلى هذه الموالاة معنى قول المغيلى فى مصباح الأرواح فى أصول الفلاح ومما يدل على عدم الإيمان بنص القرآن موالاة الكفار لقوله تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا) الآيتين لأن الدليل المذكور بين أن من لازم الإيمان عدم موالاة الكفار فلزم بشهادة رب العزة تكفير كل من تولى أحدا منهم كائنا من كان فى كل زمان ومكان وموالاتهم نصرهم لأن الولى هو الناصر فكل من يحمى يهوديا أو نصرانياً أو يحاميه على شىء من تعدى حدود الشريعة كغلائف اليهود فى البلاد الصحراوية يكفر بما ظهر عليه من الموالاة ولا يعذر بما ظهر عليه من قصد المنفعة كمن سجد لصنم بمائة ألف درهم فيستتاب بالسيف فإن مات أو قتل قبل أن يتوب مات كافراً فلا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين وإن كان مدة حياته ينطق بالشهادتين ويصلى ويصوم ويحج ويفعل جميع أنواع البر لأنه لا عمل إلا بإيمان وواحدة من خصال الكفر تحبط ألفاً من خصال الإيمان ألا ترى أن المنافق يفعل كثيراً من أنواع البر وهو كافر فى نفس الأمر فأولياء اليهود والنصارى منهم فى أحوالهم لقوله تعالى: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) منافقون فى أعمالهم لقوله تعالى: (بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما) إلى قوله تعالى جميعا ثم قال وكيف لا يكفرون بموالاة الكفار وقد نص العلماء على التكفير بواحدة من خصال لا تحصى ثم عد أمورا كثيرة فقال فى آخرها اتفق العلماء على كون بعضها كفرا واختلفوا فى بعضها انتهى.

فإن قلت قد قال أخوك عبد الله فى ضياء السلطان بعد أن ورد قولك فى سراج الإخوان ومن أمعن النظر فى هذا الفصل عرف أن أنصار الكفار من العلماء والطلبة والعوام كفار لأن بعضهم يلبس الحق بالباطل وهو كفر وبعضهم يتولاهم بإعانتهم ونصر جيوشهم على جيوش المسلمين وهو كفر فإطلاقه التكفير على من لبس الحق بالباطل ظاهر أن ثبت ذلك فيه لأن الحق هو الإسلام والباطل هو الكفر ومن خلط الإسلام بالكفر فهو كافر وأما اطلاقه الكفر على من

نصر الكفار فى جيوشهم على جيوش المسلمين فغير ظاهر عندى لأن الآية التى استدل بها المغيلى إنما هى فى نصرهم على الكفر كما هو صنيع المنافقين إذ الآية نزلت فيهم كما بينه أهل التفسير فنصرهم على الكفر كفر وأما نصرهم على المعصية فلا يكون كفراً قطعا إن لم يكن مستحلا له وإرسال الجيش إلى المسلمين ليس كفراً قطعا بل هو معصية إن لم يتأول وأحرى الإعانة عليه وإذا لم يكن الشىء فى نفسه كفراً فكيف يكون الوسيلة إليه كفرا وابن عبد الكريم المغيلى أطلق النصر ولم يقيده بشىء فيحمل على نصرهم على الكفر لاعلى المعصية توفيقا له لمذهب أهل السنة وحاشاه أن يجعل قتال المسلمين كفراً ولو حذف الشيخ قوله فى جيوشهم على جيوش المسلمين لكان أولى إذ نعلم ضرورة أنه لايكفر المسلم بقتال مثله وحاشاه وأولى النصر على ذلك والله أعلم بمراده .

فالجواب أن كلامه هذا كلام فيه إنصاف وتأويل حسن أما إنصافه فلأنه قال : وأما إطلاقه الكفر عل من نصر الكفار فى جيوشهم على جيوش المسلمين فغير ظاهر عنده (ولا تقف ماليس لك به علم) .

وأما التأويل الحسن فلأنه كان يطلب لكلام المغيلى محملا حسنا يوافق طريق أهل السنة فى عدم التكفير بالمعصية حيث قال وابن عبد الكريم المغيلى أطلق النصر ولم يقيده بشىء فيحمل على نصرهم على الكفر لاعلى المعصية توفيقا له لمذهب أهل السنة وحاشاه أن يجعل قتال المسلمين كفراً انتهى .

لكن تأويله هذا يشعر أن قتال المسلمين لا يكون كفراً ولو مع موالاة الكفار التى هى مظاهرتهم ونصرهم على المسلمين وموافقتهم على قتالهم وحمايتهم على شىء من تعدى حدود الشريعة وليس كذلك بل إن قتالهم مع هذه الموالاة كفر كما صرح به المغيلى حيث قال فكل من يحمى يهوديا أونصرانيا أو يحاميه عل شىء من تعدى حدود الشريعة كخلائف اليهود فى البلاد الصحراوية يكفر بما ظهر عليه من الموالاة ولا يعذر بما ظهر عليه من قصد المنفعة كمن سجد لصنم بمائة ألف درهم والتحقيق فى كلامه أنه كفرهم بموالاة الكفار التى هى مظاهرتهم ونصرهم على على المسلمين وموافقتهم على قتالهم وحمايتهم على شىء من تعدى حدود الشريعة إذ التكفير فى ظاهر حكم الشرع لايطلب أن يكون الكفر مقطوعا به وإنما يطلب

مايدل به على الكفر ولو ظنا وموالاة الكفار مما يدل على الكفر بنص القرآن ولذلك استدل على كفرهم بقوله تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا) وقوله تعالى (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) قال لأن الدليل المذكور بين أن من لازم الإيمان عدم موالاة الكفار فلزم بشهادة رب العزة تكفير كل من تولى أحداً منهم كائنا من كان فى كل زمان ومكان وموالاتهم نصرهم لأن الولى هو الناصر انتهى .

وأيضا أن من لازم موالاتهم دون المؤمنين ومظاهرتهم على المسلمين الرضى بدينهم والرغبة فى بقاء دولتهم وعلو كلمتهم فلا شك أن ذلك ارتداد عن الدين ضرورة ولو كان لازم المذهب ليس بمذهب على المختار إذ التكفير فى ظاهر حكم الشرع لايطلب أن يكون الكفر مقطوعا به ، وإنما يطلب ما يدل به على الكفر ولو ظنا كما تقدم آنفا ، ولذلك قال فى المختصر الردة كفر مسلم بصريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه ، ولذلك قال الأجهورى كما فى الزاهرات الوردية والكفر إنكار ما علم بالضرورة مما جاء به محمد ﷺ ، أو فعل مما يدل على ذلك قال عبد الباقى عند قول خليل وفصلت الشهادة فيه أى فى الكفر وأن شهد عدول بكفر شخص فلا يثبت بذلك كفره إلا إذا بينوا وجه كفره لاختلاف أهل السنة فى أسباب الكفر فربما وجبت عند قوم دون آخرين ، ولذلك قال المغيلى فى مصباح الأرواح فى أصول الفلاح بعد أن ذكر التكفير بموالاة الكفار وكيف لايكفرون بموالاة الكفار .

وقد نص العلماء على التكفير بواحدة من خصال لاتحصى ثم عد أمورا كثيرة فقال فى آخرها . اتفق العلماء على كون بعض ماذكر كفرا واختلفوا فى بعضه ، ولذلك قال المغيلى أيضا فى أجوبة أسئلة أسكيا بعد أن كفر سنعل وجميع أعوانه بالشرك والاستعانة بالكفار والسحرة وتحليل ماء المسلمين وأموالهم بل يجب التكفير بما هو أقل من ذلك .

قال المغيلى أيضا لاسكيا فى الكتاب المذكور فى حكم قوم آخرين يعظمون بعض الأشجار ويذبحون لها ويقولون الثعلب قال كذا أو سيكون كذا أو أن

كان كذا فيكون كذا وهم مع ذلك يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما القوم الذين وصفت أحوالهم فهم مشركون بلا شك لأن التكفير في ظاهر الحكم يكون بأقل من ذلك فظهر من هذا أن التكفير في ظاهر حكم الشرع لايطلب أن يكون الكفر مقطوعا به بل يطلب مايدل على الكفر ولو ظننا كما تقدم وإنما يطلب الدليل القاطع على كفر الشخص فيما بينه وبين ربه ولا يثبت هذا إلا من قاطع إذ لانعتقد أن فلانا كافر عند الله بنص القرآن أو بنص حديث متواتر وبإجماع العلماء على ذلك ، وقوله أخي عبد الله إن الآية التي استدل بها المغيلي إنما هي في نصرهم على الكفر كما هو صنيع المنافقين إذ الآية نزلت فيهم كما بينه أهل التفسير حق وصدق ولكن كلامه يشعر بأن موالاة الكفار بالمعنى المقدم بيانه ليس بكفر بل هو كفر ، ولايختص معنى الآية التي حكم المغيلي بالتكفير بها بالموالاة الباطنة التي هي مختصة بالمنافقين ، بل يشمل الموالاة الظاهرة كما تقدم وقوله وإرسال الجيش إلى المسلمين ليس كفراً بل هو معصية إن لم يتأول وأحرى الإعانة عليه وإذا لم يكن الشيء في نفسه كفراً فكيف تكون الوسيلة إليه كفرا حق وصدق لايختلف فيه اثنان لكنني لم أرد بذلك النصر الذي في كلامه إرسال مسلم جيشه إلى مسلم مثله ، ولا نصر جيش مسلم على مسلم مثله ، بل أردت بذلك النصر نصر جيش كافر على جيش مسلم بسبب موالاته التي هي مظاهرته ونصره على المسلمين وموافقته على قتالهم وحمايتهم على شيء من تعدى حدود الشريعة كما بيناه آنفا .

وقوله ولو حذف الشيخ قوله في جيوشهم على جيوش المسلمين لكان أولى ، يعني قولي في سراج الإخوان وبعضهم يتولاهم بإعانتهم في جيوشهم على جيوش المسلمين وهو كفر قال إذ نعلم ضرورة أنه يعني المغيلي لا يكفر المسلم بقتال مثله وأولى النصر على ذلك ، كلام حسن لحسن ظنه بالمغيلي ، لكنه غير موافق لما أردت بذلك النصر حتى يكون حذف ذلك إنما يكون أولى أن لو أردت بقولي ونصرهم في جيوشهم على جيوش المسلمين نصر جيش مسلم على جيش مسلم مثله كما هو ظاهر كلامه وليس كذلك ، إذ لايختلف اثنان أن ذلك معصية إن لم يكن مستحلا ، بل

إنما أردت بذلك النصر موالاة الكفار التي هي مظاهرتهم وحمايتهم على شيء من تعدي حدود الشريعة وموافقتهم على قتال المسلمين لكون المغيلي قد فسر تلك الموالاة بعد ذكر التكفير بها بقوله وموالاتهم نصرهم لأن الولي هو الناصر .

ثم قال فكل من يحمي يهوديا أو نصرانيا أو يحاميه على شيء من تعدي حدود الشريعة يكفر بما ظهر عليه من الموالاة وقوله أو يحاميه على شيء من تعدي حدود الشريعة يشمل نصر جيش الكفار على جيوش المسلمين لأنه من تعدي حدود الشريعة .

ولذلك صرحت به إذ لو أرسل المسلم الجيش إلى المسلمين ما كفرناه بذلك إذ لا نحمله على إرادة تضعيف دين الإسلام وهدمه بذلك كما هو دأب الكفار ، ولو أرسل ذلك الجيش إلى المسلمين مع موالاة الكافرين وحمايتهم على شيء من تعدي حدود الشريعة وموافقتهم على قتال المسلمين لكفرناه بتلك الموالاة ، لأنه يعين على تضعيف دين الإسلام وهدمه ، وعلى قوة الكفر وعلوه كما قال تعالى : (إلا تفعلوه) أي تولي المؤمنين وقطع الكفار (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) بقوة الكفر وضعف الإسلام . كما في التكملة تفسير السيوطي .

وفي تفسير الخازن عند قوله هذا وهو أن يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنة في الأرض وفساد كبير . فالفتنة في الأرض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين انتهى .

وقال البيضاوي عند قوله تعالى (إلا تفعلوه) أي إلا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض وقطع العلائق بينكم وبين الكفار (تكن فتنة في الأرض) أي تحصل فتنة فيها عظيمة ، وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر ، وفساد كبير في الدين انتهى .

وكل من فعل ما يعين على قوة الكفر وعلوه وعلى تضعيف الإسلام وهدمه ، كمن تولى الكفار بالموالاة الظاهرة ، نكفره في ظاهر حكم الشرع في الدنيا بما ظهر عليه من الموالاة كما كفره المغيلي بذلك ، ولا يعذر بما ظهر عليه من قصد المنفعة . ويختص المنافقون بالموالاة الباطنة التي حكمها في الآخرة إذ نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر ألا ترى كيف كفر عمر بن الخطاب رضي الله عنه

حاطبا بموالاتهم بمجرد إرساله إليهم . فقال كما فى الدرر الملتقطة يارسول الله دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى سورة الممتحنة (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) إلى قوله (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) انتهى ، قلت وهذا الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه وقال الأجهورى فى شرح ألفية السير عند قوله عليه الصلاة والسلام ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، أرشد إلى علة ترك قتله انتهى .

وهذا كله فيمن أرسل إليهم فقط فكيف بمن اجتمع معهم ونصرهم على المسلمين وحماهم ، وصد المسلمين عن سبيل الله فيهم ، وكان لهم ظهيرا وكل من كان ظهيرا للكافرين لم يكن من أنصار الله بل كان ظهيرا على ربه ، قال تعالى (وكان الكافر على ربه ظهيرا) اللهم إلا أن يكون لا يعلم أنهم كفروا بما يقع التكفير به فى ظاهر حكم الشرع لكونه ما رأى ذلك منهم ولم يسمعه منهم مع كونهم ينطقون بكلمتى الشهادة ويعملون أعمال الإسلام انتهى .

بيان حكم الأقسام الثلاثة من الموالاة وسنقسمها كما سيأتى إن شاء الله على خمسة أقسام لزيادة الإيضاح . فإن قلت قد بينت أن موالاة الكفار كفر بكلام المغيلى ، فما معنى قول أبى يحيى زكرياء الأنصارى فى فتح الرحمن ، عند قوله تعالى ، (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وهو إن قلت هذا يدل على أن ود أهل الكتاب يكون كفرا وليس كذلك ، ثم قال قلت إنما قال ذلك مبالغة فى اجتناب المخالف فى الدين ، أو لأن الآية فى المنافقين وهم كفار ، يفهم من كلامه أن موالاة الكفار ليست بكفر ، وما الفرق بين كلامه وبين كلام المغيلى ؟

فالجواب الأول أن أبا يحيى زكرياء الأنصارى اعتبر معنى الود الطبيعى فى الموالاة كحب الأقارب ، وحب من يحسن إليك منهم مطلقا إذ الود من معانيها . وفى العشرينيات - ولى لمن والى عد ولمن عادى - فالموالاة على هذا المعنى معصية إذا اقترنت بالطمع وإلا فلا تدخل فى المعصية إذ الود الطبيعى لا يدخل تحت التكليف .

وأما المغيلى فقد اعتبر معنى النصر فى الموالاة إذ هو من معانيها أيضا . وقال تعالى (الله ولى الذين آمنوا) وقال تعالى (فالله هو الولى) والموالاة على هذا كفر لا معصية لأن من فعل ذلك يعين على تضعيف الإسلام وهدمه وعلى قوة الكفر وعلوه . عصمنا الله من ذلك وأمثاله . وكلامنا كله على العموم لا على التعيين وفى الذى وجد فيه ما ذكرنا لا فى الذى فقد فيه ذلك .

والتحقيق فى هذه المسئلة التى هى موالاة الكفار أن تعلم أنها على خمسة أقسام كما أشرنا إليه قبل .

الأول : موالاة بمعنى الحب الطبيعى ، كحب الأقارب منهم وحب من يحسن إليك منهم على الإطلاق ، وحب المرأة الجميلة وهذه الموالاة هى التى لا حرج فيها ولا إثم لأنها ليست بالحب الاختيارى بل هى حب لا يدخل تحت التكليف . قاله البيضاوى عند قوله تعالى (أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) وقال أيضا : عند قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها) والمراد بالهم ميل الطبع ومنازلة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك لا يدخل تحت التكليف . وعلى هذا يحمل قول أبى يحيى زكرياء الأنصارى فى فتح الرحمن عند قوله (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) أن ود أهل الكتاب لا يكون كفراً ، يعنى الطبيعى ، لأن الحب الاختيارى فيهم كفر .

والثانى : موالاه بمعنى إظهار المحبة والموافقة فى الظاهر باللسان دون القلب خوفا منهم ، وهذه الموالاة جائزة لأجل الضرورة . وفى التكملة للسيوطى عند قوله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة) أى تخافوهم مخافة ، فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وقال البيضاوى عند هذه الآية فإن إظهار الموالاة حينئذ جائز .

والثالث : موالاة بمعنى إظهار المحبة والمواصلة ليصيب الواصل ما فى أيديهم من الأموال . وهذه الموالاة محرمة وبسبب هذه الموالاة نزل قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) أى اليهود إذ قال البيضاوى إنها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ويحرم تعظيمهم أيضا ونداؤهم بالأسماء المعظمة الموجبة لرفع شأن من ينادى بها . وكذلك تمكينهم من الموالاة والتصرف فى الأموال الموجبة لقهر من هو عليها ، كما أفتى به الأجهورى ، قال ذكر ذلك القرافى فى كتابه لوامع البروق .

والرابع : موالاة بمعنى النصر ، لكن على ما يوافق الشريعة كأن ينصر المسلم أهل الأمان منهم بدفع الظلم عنهم أو ينصرهم بالقيام لهم بالقسط فى حكم الشرع حيث كان لهم الحق ، أو ينصرهم بالمبرة فهذه الموالاة واجبة فى الأول والثانى وجائزة فى الثالث .

قال الحسن اليوسى فى المحاضرات روى أنه دخل عبدون بن صاعوا الوزير على الإمام العالم العلامة القاضى إسماعيل بن حماد وكان نصرانيا فقام له ورحب به ، ورأى من فى حضرته من العدول وغيرهم إنكاراً لذلك ، فلما خرج قال لهم قد رأيت إنكاركم ، وقد قال تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) وهـــذا الرجل يقضى حوائج المسلمين وهو سفير بيننا وبين المقصد وهذا من البر ، فسكت الجماعة . ثم قال الحسن اليوسى وهذا كله داخل فى أبواب سد الذرائع وفتحها انتهى . قلت لكن الأجهورى أفتى كما فى الزهرات الوردية بأنهم لا يكنون ، لأن الكنية تعظيم ، قال ويحرم القيام لهم وتصديرهم فى المجالس وبدايتهم بالسلام ، انتهى وقال عبد العزيز فى الدرر الملتقطة يجوز للسلم أن يمشى مع نصرانى فى دفع مظلمة أو شفاعة ونحوها ، فإن فعل ذلك لله تعالى فله الأجر وإن فعله للمروءة كان مباحا قال الله عز وجل (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) الآية فأباح الإحسان إلى أهل الذمة والصلح لأهل الكفر وحرم الإحسان إلى من حارب انتهى وقال أيضاً فى الكتاب المذكور فى محل آخر يجوز للسلم أن يدارى النصرانى ويجامعه(١) لأجل إحسان أو صحبة أو مجاورة لكنه مع ذلك يبغضه بقلبه لأجل كفره انتهى : وقال أيضا فى الكتاب المذكور لا بأس أن يهنئه ويعزيه ويلاطفه رجاء إسلامه . وقال أيضا فى الكتاب المذكور فى محل آخر والإحسان إلى أهل الذمة والصلح من أهل الكفر حسن وملاطفتهم ومعاملتهم بحسن الخلق لتأليف قلوبهم واستجلابهم إلى الإيمان أو دفع ضررهم كل ذلك حسن .

والخامس : موالاة بمعنى النصر لكن على ما يخالف الشريعة ويعين على تضعيف

---

(١) أى يجتمع به .

دين الإسلام وهدمه وعلى قوة الكفر وعلوه ، كأن ينصر المسلم أهل الحرب منهم ويحاميهم على شيء من تعدى حدود الشريعة وهذه الموالاة كفر . وتكفير المغيلي بالموالاة إنما هو مقيد بهذا القسم الخامس حيث قال : فلزم بشهادة رب العزة تكفير كل من تولى أحدا من الكفار كائنا من كان فى كل زمان ومكان وموالاتهم نصرهم لأن الولى هو الناصر ، ثم قيد هذا النصر بقوله فكل من يحمى يهوديا أو نصرانيا أو يحاميه على شيء من تعدى حدود الشريعة لا يعنى نصرهم على ما يوافق الشريعة وليس كلامه فى القسم الأول الذى هو موالاة بمعنى الحب الطبيعى ولا فى القسم الثانى الذى هو موالاة بمعنى إظهار المحبة والموافقة فى الظاهر باللسان دون القلب خوفا منهم ولا فى القسم الثالث الذى هو موالاة بمعنى إظهار المحبة والمواصلة ليصيب الواصل ما فى أيديهم من الأموال ولا فى القسم الرابع الذى هو موالاة بمعنى النصر لكن على ما يوافق الشريعة فتعين أن يكون كلامه مقيداً بالقسم الخامس الذى هو موالاة بمعنى النصر لكن على ما يخالف الشريعة ويعين على تضعيف دين الإسلام وهدمه وعلى قوة الكفر وعلوه فقد ظهر من كلامه محمل كلامه الذى يطلبه أخى عبد الله فى كتابه ضياء السلطان حيث قال : وابن عبد الكريم المغيلى أطلق النصر ولم يقيده بشيء فيحمل على نصرهم على الكفر لا على المعصية توفيقاً له لمذهب أهل السنة لكن ظاهر كلامه ، يعطى أنه يشترط أن يكون ذلك النصر على الكفر المحقق كالشرك والتكذيب والاستهزاء كما هو صنيع المنافقين لا على الفعل الذى يتضمنه كهذا القسم الخامس الذى فيه كلام المغيلى لضعف دلالة الفعل ولأجل ذلك قال ابن مرزوق فى شرح مختصر خليل عند قوله . وشد زنار ، وظاهر كلام المصنف أن شد الزنار وحده يتضمن الكفر وظاهر ما فى الشفاء أن ذلك مع المشى إلى الكنائس وما فى الشفاء أولى لأن دلالة هذا الفعل على الكفر ضعيفة لإمكان اختياره تلك اللبسة لمعنى غير الكفر فلابد من دليل آخر معها انتهى . لكن حمل ذلك النصر الذى ذكره المغيلى على الكفر المحقق كالشرك والتكذيب والاستهزاء كما هو صنيع المنافقين يأباه قوله فكل من يحمى يهوديا أو نصرانيا أو يحاميه على شيء من تعدى حدود الشريعة يكفر بما ظهر عليه من الموالاة ، وإنما يحمل ذلك النصر على الفعل الذى يتضمن الكفر ، وهو حمايتهم على شيء من تعدى حدود الشريعة كما صرح به .

ولو كانت دلالة الفعل على الكفر ضعيفة كما نبه عليه ابن مرزوق وإنما كفر المغيلي بتلك الدلالة على الكفر لقوتها هنا إذ هي دلالة نص القرآن ولذلك قال ومما يدل على عدم الإيمان بنص القرآن موالاة الكفار لقوله تعالى (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا) الآية إلى قوله (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء) ولا ينتقض دليله بكون هاتين الآيتين ، نزلتا بسبب منافقي اليهود إذ للمجتهد أن يستدل بعموم كلام الله أو كلام رسوله على اجتهاده إذ العبرة بالعموم لا بخصوص السبب كما تقرر ذلك في أصول الفقه .

فإن قلت ما اسم من كان من هذا القسم الخامس فالجواب أنه يسمى كافراً في ظاهر حكم الشرع في جميع الأحوال غير أعمال العبادات ويسمى منافقاً في أعمال العبادات ولذلك قال المغيلي في مصباح الأرواح في أصول الفلاح فأولياء اليهود والنصارى منهم في أحوالهم لقوله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) منافقون في أعمالهم لقوله تعالى (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) انتهى المراد من كلام الشيخ عثمان .

ونقلناه برمته لتأكيد الاحتياج إليه في هذه المسئلة وقال ابنه أمير المؤمنين محمد بل رحمه الله في كتابه مفتاح السداد فإن قلت قد أجمع العلماء على أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وهل هذه الأقوال المقتضية للكفر والأفعال المتضمنة له بما لا يقع إلا من كافر فهل هي كفر في نفسها أم لا قلت إنها ليست بكفر في نفسها ولكنها دالة عليه قال ابن عبد السلام في شرح ابن الحاجب عند قول المصنف في باب الردة والعياذ بالله منها وتكون يعني الردة بصريح وبلفظ يقتضيه وبفعل يتضمنه وإن كان ظاهر كلامه أن هذه الثلاثة موجبات الكفر وفي الحقيقة هي طرق دالة على العلم بكفر الكافر موصلة إلى ذلك ثم ذكر أمثلة وقال وهذه الأفعال كما قلنا دالة على الكفر لا أنها هي كفر لما تقدم من الأدلة على بطلان التكفير بالذنوب انتهى .

وفي حاشية الشيخ مصطفى الرماصي مثله عن ابن عبد السلام قال وقال قبل هذا في قول ابن الحاجب الردة الكفر بعد الإسلام وإنما عدل للفظ الإسلام ولم يقل بعد الإيمان وإن كانت المقابلة إنما تكون في الأكثر بين الكفر والإيمان لأن النظر في هذا الباب مقصور على أحكام الدنيا التي ينظر فيها الحكام ولا قدرة

للبشر على معرفة إيمان بعضهم بعضا وإنما يعلمون إسلام بعضهم بعضا ولهذا احتيج الكلام على الأمور التي تعرف بها ردة المرتد فقال بصريح وبلفظ يقتضيه أو بفعل يتضمنه وإن كان ظاهر كلامه أن هذه الثلاثة موجبات الكفر ثم ذكره ثم قال وما قاله ابن عبد السلام فيه نظر بل هذه الأفعال هي الكفر لجعلهم لها جزءاً من تعريفه قال ابن عرفة الكفر عدم التصديق بما علم من الدين ضرورة وفعل ما يدل عليه غالبا كقتل النبي وإلقاء المصحف في النار عمداً انتهى .

ثم قال وقال ابن حجر الهيثمي في شرح الأربعين النووية لما تكلم على حقيقة الإيمان يمكن ثبوت التصديق بدون المعرفة والاستسلام وأن هذا الثبوت تمكن مجامعته الكفر إذ لا مانع عقلا من أن يصدق جبار نبيا ويقتله لنحو حق أو غلبة هوى فقتله لا يدل على عدم التصديق به من أصله كما ظنه الأئمة بل على أن ماعنده من التصديق غير منج له شرعا من الخلود في النار فالحاصل أن الله سبحانه وتعالى رتب على التلبس بالإيمان لازما لا يختلف عنه هو سعادة الأبد وعلى ضده شقاوته وهي لازم الكفر شرعا وأنه إذا اعتبر في ترتب لازم الإيمان وجود أمور بعدها يترتب لازم الكفر فنها تعظيمه تعالى وتعظيم نحو أنبيائه وترك السجود لنحو صنم انتهى المراد من كلام مصطفى .

ثم قال محمد بل بن الشيخ عثمان بعد نقله لكلام المغيلي في موالاة الكفار التي يكفر بها أعني الكلام الذي نقله أبوه ما نصه وممن وافق المغيلي على المسئلة الحافظ التنيسي ، والرصاعي وعيسى الماوردي مفتي فاس وابن زكرياء مفتي تلمسان والقاضي يحيى بن أبي البركات الغماري وعبد الرحمن بن سبع التلمسانيان والسنوسي انتهى كلامه في مفتاح السداد فإذا فهمت هذا ظهر لك أن أحمد بن أحمد هذا خلع ربقة الإسلام من عنقه وامتطى ذروة سبيل الكفار بمجموع ما قدمناه يظهر لك ما هو عليه وأنه ما بقي وجه من وجوه الضلال ولا حال من أحوال الإضلال إلا ووقع فيه فلنبين أنواعا من وجوه ضلاله وإضلاله لمن معه من المسلمين فنقول .

أولها تلبيسه على المسلمين بادعائه بتوبة المشركين واحتجاجه على ترك قتالهم بحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا

قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها وحسابهم على الله وفى هذا الحديث أقوى الحجج عليه كيف يورده فى مشركين يعبدون الأصنام من دون الله والكفر لم يعصم مال أحد منهم ولا دمه ولا عرضه ويفعل هو فى المؤمنين المسلمين خلاف ذلك حتى يبيح دماءهم وأموالهم وأعراضهم وهم مؤمنون مسلمون مجاهدون لأعداء الله فما عصمت منه هذه الكلمة دم ولا مال ولا عرض أحد ممن قالها واتصف بما يقتضيه لا من كان بعيداً منه من المسلمين لتعشيره ماله وأخذ ماله بغير شيء ولا من كان قريبا منه لأخذه ماله ظلما وعدوانا ويدعى أنه تعزير صادر منه لموجب لم يرتب الله ولا رسوله فى شرعه على صاحبه شيئا ما هو إلا على أن يقول أستغفر الله ويصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ويقول لا إله إلا الله فقط كتعزيره التجانيين الذين معه من أخذ نصف أموالهم وحبسهم بسبب أن استغفروا الله وصلوا على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وذكروا الله تعالى لا غير ولا يخفى على من له أقل الإسلام وجوب هذه الثلاثة لقوله تعالى استغفروا ربكم ثم توبوا إليه وقوله تعالى : (يأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وقوله (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) فكيف يباح مال وعرض مسلم يفعل ما يجب عليه وعلى جميع المسلمين ويدعى عصمة مال ودم وعرض كافر مشرك صريح فإن لم تعصم كلمة الإسلام مال ودماء وأعراض أهلها فلا يخطر ببال أنها تعصم مال وعرض ودم المشرك هذا على أن التجانيين رضى عنهم إذا كان بعضهم يفعل أموراً غير معروفة عند من لا يرتضيها فالذى يليق بهذا المسكين أن ينكر تلك الأمور بذواتها ويدع عنه غير ذلك مما وجب عليه هو وعليهم وعلى جميع المؤمنين فعله فكلمة الشهادة لم تعصم دم صاحبها ولا ماله ولا عرضه من أحمد بن أحمد هذا كان بعيداً منه أو قريب منا نحن أيضا فقد أباح دماءنا وأموالنا وأعراضنا وعلى أن المشركين تابوا إليه وهو تقدير فاسد فلما أباح دماء وأموال من بقى منهم فأتى بجيوشه ليرد المسلمين ويخرجهم من أرضهم ثم أغار عليهم فى أنفسهم فعلمنا على يقين أن كلمة الإسلام لا تعصم من أحمد بن أحمد هذا عرضا ولا مالا ولا نفسا لا من المسلمين الأقربين منه ولا الأبعدين ولا الأصدقاء فى زعمه ولا الأعداء فى قلبه وإنما العاصم عنده هواه فأينما مال مال وأينما وقف وقف فقط .

وثانيها : تلبيسه أيضا على المسلمين بقبوله الإنصات والإصغاء إلى الكفار وقبوله توبتهم جزافا حتى أرسل إلينا بأنهم تابوا وفعلوا كذا وكذا وهو تلبيس أوقعه فيما لا يقدر على الخروج من ورطته إذ لو فرضنا أنهم أسلموا وانقادوا لأحكام الشريعة فأبى أمير الجيش إلا قتالهم وقتلهم لكان مرجع شكواهم إلى الأمير الأكبر الذى بعث الجيش ونصب لذلك الجيش أميراً لا إلى غيره ولو فرضنا أنهم رفعوا شكواهم إلى غيره ليزجر أمير الجيش وينهاه عن قتالهم فلا يخلو إذ ذاك أن يكون الأمير الأجنبى الذى رفعوا شكواهم إليه عالما عاملا بعلمه عادلا أم لا فالأول فلا يقول له إلا ارفع شكواك إلى أميرهم الذى بعث الجيش وأمر ذلك الأمير ليرفع شكواك عنك .

وأما الثانى فإن كان عاقلا ذا حياء فلا يقول له إلا ما قاله الأول لأن عقله وحياءه يمنعانه من الدخول فيما ليس له الدخول فيه لأن ألسنة المسلمين والكافرين تحمد ما يذمه به فى حياته وبعد مماته ويخاف أن يتصف بصفات اليهود أو المنافقين التى ذكر الله عنهم بقوله (لا يحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) أو يخاف أن يصدق عليه حديث المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور .

وثالثها : أنه بفعله هذا ودخوله فى هذا الأمر نادى على نفسه بأنه آثر ظهور الكفر على الإسلام واختار نصر الكافرين على المسلمين بسبب ما ينال من أيديهم من حطام الدنيا العاجلة الفانية بالتذلل لهم والاستكانة فباع دينه ودنياه كافرا ولم يفد هو شيئا ولله در القائل من حذاق الأوائل .

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى والمشترى دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من ذين أخيب

فياليت شعرى كيف يرضى عاقل أن يبيع دينه ودنياه معا بدنيا غيره من المسلمين فأحرى أن يبيع دينه وأديان من تبعه من المسلمين ودنياه ودنياهم بدنيا كافر يالله العجب .

ورابعها : أنه أخذ أموال سغ وهو يعلم أن أخذه ذلك حرام عليه كتابا وسنة وإجماعا بعد وقعة جابل ووقعة ويتال ودخولنا سنسند فإنهم حينئذ أخذوا

بأخذ الله عزوجل ولم يبق إلا دار ملكهم وحدها ومن لا فائدة فيه ويا ليت شعرى ما حجته فى أخذ هذا المال الذى جحده الشرع ومنع قبوله من غير من قاتلهم من المسلمين الذين أوقف الله دولة الكفر بهم على شفا جرف هار وهذا المال لا يخلو من وجهين إما أن يكون رشوة وإما أن يكون هدية ليس غير فأما الرشوة فتحرم بجميع أنواعها لحديث لعن الله الراشى والمرتشى لا سيما ، وهى رشوة المسلم على أن يقاتل مسلما ، وعلى أن يختلط جيشه بجيش المشرك ويحمى ظهره وينصره ويقوى أمره وعلى أن تبقى كلمة الكفر وتقوى وعلى أن تضعف كلمة الإسلام وتوهن وتهوى يالله العجب من هذا الجهل المركب وأما الهدية له فحرام عليه أخذها وإنما يجوز لنا أو لقومنا على مجرى تفصيل الأئمة لأنا نحن الذين جاهدناهم فأعاننا الله عليهم كيف وقد قام الدليل على أن هذا المال ما أعطى إلا أجرة وكراء ورشوة وابتلاء ليقويهم وينصرهم ويمدهم بجنوده ويقاتل معهم المسلمين حتى يضعفوا وتكون الدولة للكفر وينهدم الإسلام بضعف أهله ولو كان أحمد بن أحمد هذا من أهل الإسلام ما جنح إلى ذلك ولا مال أو من العقلاء ما قبل ذلك ولا حدث به ولا قال أو لو فعل لتاب إلى الله واستقال هذا وقد ذكر الشعرانى فى آخر كتابه لواقح الأنوار القدسية ما نصه أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نقبل من أحد من الأشرار هدية كالظلمة وأهل البدع فضلا عن الكفار لأن المرء مع من أحب ولا نحب أن نحشر مع ظالم ولا مبتدع ولا كافر فإن من قبل هدية هؤلاء فقلبه يميل إليهم ضرورة ، ثم أورد أحاديث منها ألا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية لله أخرجه الطبرانى وحديث الطبرانى مرفوعا لا يحب رجل قوما إلا وحشر معهم انتهى .

وإذا علمت هذا علمت أن هذا المال الذى أخذه أحمد بن أحمد هذا من على بن منز كله حرام عليه أخذه ولا شك أن كونه رشوة أظهر من كونه هدية مع أنه لا عجب فى أخذه له فأنه علم علم يقين أن دولة الكفار ذاهبة على أيدينا بحول الله وقوته فأراد أن يتخذ لهم كذبا ليأخذ نصيبا من هذا المال الذى كان يحتال له بكل أنواع الحيل لعله يأخذه أو يأخذ منه شيئا على أى وجه حرم أو أبيح ففعل ذلك فأخذ

ما أخذ وجذب من الكفر واستحلال المحرم إلى نفسه ما جذب وهكذا حال من جعل الدنيا أكبر همه ومبلغ عله والله شهيد على ما تعملون وأيضا أخذ أحمد بن أحمد لهذا المال من الكفار وإعطاء عل بن منز له إياه لا ينفع عل نفسه أصلا لأن أحمد بن أحمد هذا لا يقدر على نصره وإنما القدرة لله بل لو أعطاه قدر مال قارون ما ينفعه ولا ينفع أحمد بن أحمد هذا أيضا ولا ينفع الكفر ولا ينفع أهله ولا ينفع النفاق ولا أهله لقوله تعالى (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون)، وقد سمعت قائلا يقول لى قبـــل خروجى إلى هذا الغزو وأنا فى مدينة النور لا يتعب الكفار أنفسهم فإن الكفر قد فسد وسمعت هاتفا يقول بعد ذلك (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) وإنما ينفع عل بن منز ما أعطاه أن لو أقام فى سلطنته وبلاده وداره على كفره بعد إعطائه أكثر من ستة أشهر أو ينفع أحمد بن أحمد أن لو شتت جيوش المسلمين عن عل واتباعة وبقى هو يملك عل وأمواله وضم الجميع إلى ما عنده وكلا الأمرين معدوم والحمد لله وإنما حمله على أخذ هذا المال الشح فقط .

قال فى السراج المنير فى تفسير قوله تعالى (ومن يوق شح نفسه) الآية قال له ابن عمر الشح هو أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وفى الحديث « اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال : ابن مسعود إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلما وقال طاووس البخل أن يبخل الإنسان بما فى يده والشح أن يشح بما فى أيدى الناس ويحب أن يكون له مافى أيديهم بالحل والحرام فلا يقنع وقال بعضهم ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث هو ترك الفرائض وانتهاك المحارم .

وخامسها : إرادته أن ينال الملك الذى هو الهلك والدنيا الخسيسة بما هو أقبح وأخس منهما وهو الكذب والخديعة والتملق للكفار ولا يرضى مؤمن بأن يكذب ويخادع مؤمنا فأحرى كافرا لأن المؤمن ربما ستر ذلك عليه لأنه أخوه

والكافر لا يفيده فى ذلك إلا إشاعة الفاحشة واحتقاره لجميع المسلمين ولا يحل لمؤمن أن يهين نفسه أو أن يذلها مع أنه ما أتم الله له والحمد لله مراده من تمام الملك الذى يوهن به المسلمين ويقوى به الكافرين والحمد لله .

وسادسها : إرادته أن يتخذ بين الكفر والإيمان سبيلا وذلك بعثه لجيش يمين الكافرين على جيش المؤمنين مع استحلاله ذلك بخديعة ومكر وتحتل على الله ورسوله وكتاب الله وسنة رسوله مع جهله بالكتاب والسنة وعدم مبالاته بهما لرفعه راية ملك الدنيـــا الذى هو الهالك على راية دين الله الذى هو الملك عند مالك الملك .

وسابعهما : أنه ألقى جلباب الحياء عن وجهه وخلع ربقة الإسلام من عنقه فخلط جيشه بجيش أعداء الله جهارا وجانب جيش أولياء الله وعاداهم وقاتلهم فلم يستحى من الله ولم يخف منه ولم يحتشم من الكفار الذين جيشه مع جيشهم لأنهم يعينونه بلا شك بذلك فيما بينهم لعلمهم بأنه ما فعله إلا وهو منهم وما صيره منهم إلا المال الذى طلبه منهم وأعطوه إياه ولم يستحى من المؤمنين الذين يسمعون ذلك ويدعى مع هذا أنه من أحباء الله قال الشاعر :

تود عـــدوى ثم تزعم أننى   صديقك ليس النوك عنك بعازب

ومن ألقى جلباب الحياء عن وجهه استحق مقت الله ولعنته .

وثامنهما : تلبيسه على المسلمين الذين معه وغروره لهم بالقول واحتياله فى ذلك وتعميته على الناس بكذبه وبهتانه كقوله لهم أنتم المنصورون أنتم المجاهدون وعمر بيدى أعطاه الله لى وكذا وكذا وقوله للكفار أنا معكم والشيخ كذا وكذا حتى أظهر الله عز وجل فيه مصداق قوله فى المنافقين (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وأن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) فقد بأن كذب ما يزخرف به أحمد بن أحمد هذا على أصدقائه الذين أكل أموالهم بالباطل من الكافرين بخروجهم عن أرضهم ولم ينفعهم بمثقال ذرة وخراب دولتهم فإن الله تعالى أجرى هذه العادة فى المنافقين أنظر كيف

بين الله بقوله (والله يشهد إنهم لكاذبون) أن ما كانوا يقولون لإخوانهم من الكفار من أهل الكتاب من الترغيب وتقوية قلوبهم كله كذب ثم بينه بقوله (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) الآية وفى هذه الآية كما قال المهدى تصريح بأنه تعالى يعلم ما لا يكون أن لو كان كيف يكون وهذا الوعد المنفى كونه لم يظهر بعد فقد أخرج الكفار وقوتلوا وما قاتلوا معهم وما خرجوا ولا نصروهم فانظر إلى حال هؤلاء وحال هذا المسكين مع قومه من كفار سخ فما نفعهم قليلا وكذلك حاله مع قومه الذين كان يغريهم علينا بكذب القول وزوره فأكذبه الله وظهر لهم ولغيرهم كذبه بعد ما أوقعهم فى الفتنة فى دينهم وحملهم على قتال إخوانهم من المؤمنين كرها ولم يقدم بنفسه بشىء إلا ما كان يضرهم به فى قوله وزعمه: عرفت بوشيك فاستقم فى مشيك . فياليته قتلهم أو أخذ جميع ما بأيديهم من الرياسة والمال وترك لهم دينهم وآخرتهم فالفتنة فى المال هين أمرها لأنه غاد ورائح وأما الفتنة فى الدين فهى أكبر شىء على المسلم وياليتهم طلبوا منه ذلك ورضوا به وصبروا ولو آل الأمر بهم إلى ما لا نهاية فوقه من الفتنة فى دنياهم ولهذا ونحوه حذروا من مصاحبة السفيه والأحمق والجاهل فقالوا : لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله هذا وكم من أمير ضال أضل طوائف من المسلمين بتلبيسه وإغوائه وفى الأثر : لشياطين الإنس أضر من شياطين الجن .

وتاسعها : استحلاله القتال بين المسلمين وتهديره الدماء التى حرم الله أن تسفك إلا بالحق وعمى عما ورد فى ذلك من الوعيد الشديد جهلا أو تجاهلا أو ضلالا وإضلالا ويكفى فى ذلك قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) الآية وياالله العجب كيف يتجرأ على إباحة هذه الدماء من يكتب إلى غيره وهو يعلم أن ما كتبه وقاله فاسد بقوله وأنت تعلم قوله الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها وحديث إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ونحو هذا ولكنه أعمى عن المقاصد جاهل بكيفية الإيراد والموارد قال الشاعر :

وكم مبصر فى عين صاحبه القذا ... وفى عينه جذع وما هو مبصر

أم كيف يكون من يعلم هذا ويقول لقومه فى ترغيبهم وحضهم على قتل إخوانهم من المسلمين من قتل منكم واحدا منهم فكأنما قتل عشرة من النصارى ونحو ذلك من التحضيض على قتل المسلمين .

وعاشرها : أنه نادى على نفسه بأنه ليس من الملة الإسلامية بل من الذين ينافقون الذين لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا يرضون بنفوذ إشاءة الله وقدرته وبيان ذلك أنه زعم حصول التوبة من المشركين ولبس على الذين معه بأنه هو ومشركيه على الحق وأن مشركيه أهدى إلى الحق وأننا نحن على الضلال حتى أباح بل أوجب عليهم قتالنا وتهدير دمائنا وإباحة أموالنا وأعراضنا واتصف بحال المنافقين من أهل الكتاب الذين قال فيهم ربنا (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين ءامنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله) الآيتين انتهى .

الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله نسأل الله العفو والعافية والنجاة من النار فى الدنيا والآخرة . ورحم الله الجميع وعفا عنا وعنهم آمين .

قد جاهد سيدنا الحاج عمر الفوتى الوثنيين والكفار والمستعمرين ولم يستقر لهم قدم فى تلك البلاد طول حياته وكان كلما انخفض النهر وتعذر سير السفن الحربية فيه هاجمهم ونكل بهم إلى أن لحق بربه رضى الله عنه . وهذا خطاب منه لبعض أصحابه يقرر فيه هوان أمر المستعمرين ولولا خيانة بعض أهل البلاد واستعانتهم بالوثنيين لما استقر لهم قدم فى غرب إفريقيا .

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا النبى الرحيم وعلى آله وصحبه الكرماء وجميعهم هم الرحماء

اعلم أن أمر النصارى عندنا هين والحمدلله ، ولا شىء يلجئنا إلى مسالمتهم لا من سلاح ولا من غيره بحمد الله تعالى ، ولا يصح بيننا وبينهم إلا ما حكم الشرع المطهر به بيننا وبينهم ، وذلك قتالهم وعدم موالاتهم كما قال الله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ، وأما موالاتهم فقد حرمها الله ورسوله قال تعالى (يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم) ، وأما مسالمتهم فهى أيضا حرام علينا وعلى كل من ينتسب للإسلام الحنيفى قال الله تعالى (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم) فوالله لا يكون بيننا وبينهم إلا ما أمرنا الله ورسوله به من القتال والعداوة والبغضاء حتى يعطوا الجزية على ما قال الله تعالى وهم صاغرون فوالله لا نواليهم أبدا بصلح

أو بيع مع علمنا بأن كل من والاهم بأى شىء بقل أو كثر مستحلا لذلك فهو كافر كتابا وسنة وإجماعا وأن من والاهم ولم يستحل كان محاربا لله ورسوله فواجب علينا قتاله كقتالهم ومن باع لهم ولو أقل قليل أو أعان من باع أو سعى لهم فى شىء يرضونه ناويا أن يحصل به شىء ما ينفعهم أو يحسن عندهم فنحن من أهل حربه دنيا وأخرى وبرزخا والله لا يحوجنا إلى شىء بأيديهم لعلمنا بأن ما فى أيديهم لنا إن شاء الله ولا نكون بعون الله ممن فى قلبه مرض ويسارع فى موالاتهم كما قال الله تعالى (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) إلا إن طلبوا المسالمة على وجهها المطلوب منهم بذلة ومسكنة وخضوع وإذعان وذلك واقع فحينئذ نقبل ممتثلين قوله تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وأما غير هذا فمعدوم منا ما داموا معتقدين الغلبة والتغلب على بلاد المسلمين بظنونهم الفاسدة اهـ .

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وإننا نرجو من أحبابنا أن يكتبوا إلينا بما لديهم عن هذه الدولة التى قامت على مبادىء الإسلام الصرفة وعن ذلك الصوفى المجاهد صورة الصدر الأول علما واجتهادا وعبادة الذى فتح البلاد بالإسلام والقلوب بنور القرآن . وقد حدثنى السيد محمد عال بن فتى الشنقيطى أنه رأى بخط جده لأمه محمد عال من أصحاب سيدى مولود قال فى كتاب الشيخ عمر (المقاصد السنية فيما يجب على الداعى إلى الله من الراعى والرعية) فى المقدمة عمر بن سعيد الفوتى دارا القرشى نجارا ولا ينسب نفسه إلى قريش إلا إذا تحقق نسبته وكتب الأمير بكار بن سويد أحمد الجعفرى أمير تكانت وهى أرض غير تجا كنت فإنها قبيلة من لمتونة من البربر كما قال ابن خلدون فى تاريخه المبتدا والخبر قال من سيد العرب إلى سيد العجم فوجد عند الشيخ عمر رجالا من العلويين فيهم محمد ولد العباس صاحب روض الشمائل فقال له أتعرف بكار بن سويد أحمد قال له نعم ، قال أتعرف كاتبه أحمد بن سليمان الديمانى قال نعم : قال له لم يكتب لى من سيد العرب إلى سيد العجم وسيد العرب رسول الله ﷺ ولأننى لست بأعجمى لأننى أعلم سبعين لغة ، وأعلم العربية بلهجاتها الفصحى والأعجمى هو الذى لا يعلم العربية ولو كان أصله عربيا . والعجمى من كان أصله عجميا ولو أتقن العربية . وأصله رضى الله عنه عربى قرشى وهو متقن العربية ماهر فيها .

والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه

الزاوية التجانية الكبرى بالقاهرة محمد الحافظ التجانى

محتويات الكتاب

الكتاب الأول : شي من جهاده وتاريخ حياته . وهو ٢٠ صحيفة .



محمد الحافظ عبد اللطيف سالم التجانى
المقيم بمصر القاهرة
واضع هذه الرسالة



الحاج سعيد نوروطال
حفيد المجاهد الحاج عمر بن سعيد
مؤسس الدولة التجانية

١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م



حدود الدولة التجانية
من تمبكتو شمالا وبلاد
الموسة شرقا إلى المحيط
الأطلنطي غربا. وتشمل شمال
غانا وساحل العاج وبلاد الفلا
جنوبا
المحيط
اسبانيا
مدريد
البرتغال
ايطاليا
المتوسط
البحر الأبيض
مملكة المغرب
مراكش
جمهورية الجزائر
تونس
المملكة الليبية المتحدة
الصحراء الأسبانية
جمهورية موريتانيا الإسلامية
جمهورية مالي
جمهورية النيجر
جمهورية تشاد
جمهورية السنغال
جمهورية غينيا
سيراليون
ليبريا
جمهورية ساحل العاج
غانا
جمهورية فولتا العليا
جمهورية داهومي
نيجيريا
الكمرون
جمهورية افريقيا الوسطى
جمهورية الكونغو
جمهورية جابون
خليج غانا
الأطلنطي


Bibliotheca Alexandrina
0460195